

برل الاشتراك عن سنة
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
نغن العدد ٢٠ مليا
الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

المجلة

بجدة (بوجهة الفكر والعلم والفن)

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المستول
احمد حسن الزيات
الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٧٥٩ « القاهرة في يوم الاثنين ٨ شهر ربيع الأول سنة ١٣٦٧ — ١٩ يناير سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

عقدة منحلة !

للأستاذ عباس محمود العقاد

فإذا كان الأستاذ نقولا الحداد لا يسخو على المسكين
فيثاغوراس بأكثر من صفة التخريف والسخافة فليس معنى ذلك
أن فيثاغوراس المسكين مخرف سخيف فيما قال عن العدد والنغم ،
وإنما معناه أن الأستاذ نقولا الحداد لم يرزق بداهة فلسفية
كبداهته ، ولم يرزق نظرة علمية إلى ما وراء الظواهر كالنظرة التي
يؤثرها أمثال جينز وادينجتون ومليكان .

ولو أن الأستاذ نقولا الحداد رزق تلك البداهة لأنحنى إجلالا
لتلك العبقرية التي نفذت من وراء الكثافة المادية ، ومن وراء
المصور المتطارة ، إلى حقيقة مجردة يسميها الأستاذ ولا يفقهها
وهو يمشي في عصر « العدد » الذي يصحب الوجود من أمواج
الكهرباء والمغناطيس ، إلى أجزاء العناصر ونسب الكهارب
وجلة ما في الوجود بين الأرض والسماء .
والفرق بين تحية الإجلال الواجبة ، وبين تهمة السخافة
الجائرة ، هو الفرق بين التقدير الصحيح والتقدير الخاطئ . في
أمثال هذه الأمور .

على أن هذا التقدير الخاطئ قد تجلى في حالة ألمع من هذه
الهالة حين تصدى الأستاذ لموضوع كتابنا عن « الله » وتناول
مشكلة العقل فقال عنها في فصل من عدد المقتطف الأخير :
« إذا صرفنا النظر عن ذاتية العقل وحسبنا العقل عملا من
أعمال خلايا الدماغ — الصنوبرية أو غير الصنوبرية — أو هو أهم

في رأي الأستاذ نقولا الحداد أن فيثاغوراس لم يكن إلا مخرفاً
سخيفاً حين قال إن الكون عدد ونغم !
وقد كان فيثاغوراس يقول ذلك يوم كانت المادة عند
الأقدمين جسماً محسوساً أو كتلة كثيفة ، ولم يكن معروفاً من
تقسيم العناصر وقوانين الحركة شيء مما يعرفه العلماء الآن .
ثم عرفت العناصر ، وعرف أنها كلها تركيبات من
الكهارب ، وأنها تختلف بينها باختلاف أعداد الكهارب حول
نواة كل عنصر ، وأن الكهارب نفسها إذا ردت إلى الإشعاع
فهي عدد من الذبذبات ، كلما ميزتها بغير العدد جسماً أو قوة
أو طاقة عدت إلى العدد ، والتناسب بينه ، من جديد . لأن
آخر الأمر في القوة أنها حركة ، وآخر الأمر في الحركة أنها عدد
من الذبذبات .

لا جرم زى أناساً من أكبر انطاب العلوم الطبيعية في هذا
العصر — إن لم يكونوا أكبرهم جيماً — أمثال مليكان Mellikan
وادينجتون Eddington وجينز Jeans يقولون إن الطبيعة حساب
وربما ، ويتحدث جينز خاصة عن « الله الرياضي » ... لأن
قوانين الطبيعة مسائل ومعادلات .

وظيفة لهذه الخلايا بل هو وظيفتها الرئيسية في الأقنوم الإنساني،
أنحلت العقدة حالا .

وهذه هي العقدة التي حلها الأستاذ حالا ... وبمثل هذه
السرعة يستطيع ولاشك أن يحل كل عقدة من العقدة بغير كثير
أو قليل من العناء .

فأما أن يكون في هذا الوجود شيء عجيب أو ليس فيه شيء
عجيب على الإطلاق ، لأن وجوده فيه ينفي عنه العجيب وبغنيته
عن التعليل .

فإن لم يكن فيه شيء عجيب فقد انتهينا وأنحلت العقدة حالا ،
بل لم توجد العقدة حتى نحتاج إلى حلول .

وإن كان فيه شيء عجيب فأى شيء هو هذا الذي يمكن أن
يوصف بالعجب أعجب من ظهور الحياة في المادة ، فضلا عن
ظهور العقل وهو أعجب من الحياة .

كيف كسبت الخلية الحية خصائص الحياة ؟ كيف انقسمت
لتحفظ نوعها ! كيف تطور هذا الانقسام إلى ذكورة بسيطة
وأُنوثة بسيطة ؟ كيف تجمعت هذه الخلايا في أجساد تختلف فيها
بينها اختلاف الأنواع والأجناس ؟ كيف نمت هذه الأجسام
وارتفعت فارتفعت طباقا فوق طباق ؟ كيف أصبحت كل خلية
توافق كل خلية غيرها في البنية على العمل المشترك بين جميع
الأعضاء ؟ كيف بلغت مبلغ الإنسان وظهر فيها عقل الإنسان ؟
كيف اتفق هذا التطور في اتجاه واحد إلى هذا الاستعداد لظهور
الحياة واستمرار أجيال الأحياء ثم ظهور التفكير في أرقى
الأحياء ؟ .

أهو تدير أم مصادفة عمياء ؟ .

إن كان تديرا فهذا هو العقل الذي ينسكه الأستاذ وإن
كان مصادفة عمياء فأين هو العقل الذي يستريح عند ما يقال له :
لا تمجب ولا تستفسر فإن العقدة منحلة لا تحتاج إلى إيضاح ،
وهل بعد المصادفة العمياء من حل تتطلع إليه العقول ؟ .
وهذا العقل نفسه كيف يقال إنه عنصر محدود في الكون
بعقل الإنسان دون سواء ؟

ما هو الكون ولا سبب الكون في نظر الماديين ؟ .

إنه ليس بأقليم من الأقاليم أو قطار من الأقطار فيقال إن

العقل من حاصلات هذا الإقليم دون ذلك الإقليم ، أو مزدوجات
هذا القطر دون ذلك القطر .

كلا . بل هو كل ما كان وما يكون من غير بداية وإلى غير
نهاية ... فكيف يستريح العقل حين يقال له إن عنصر العقل في
الكون كله إن هو إلا فلتة من فلتات المصادفة وجد على سبيل
الاتفاق بعد وجود الإنسان ؟ .

كيف نحل مشكلة العقل المجرد الذي عرف الحقائق الرياضية
تامة ولا يزال « العقل التجريبي » يتخبط في علوم الحس
والمشاهدة ؟ .

كيف نحل مشكلة العقل الذي يعظم كما تنظم المبقرية
بالاختلال في البنية لا بالاستواء المهود في التكوين ؟ .

كيف نحل مشكلة العقل الذي ينتقل بغير الوسائل المادية
والصور المحسوسة من واعية إلى واعية ومن دماغ إلى دماغ ؟ .

إنك لا تستطيع أن تقول إن « المكنتات » الكهربائية
هي التي أوجدت الكهرباء في العالم . فكيف تقول إن الدماغ
البشري هو الذي أوجد الفكر في الكون كله بعد أن لم يكن
له وجود ؟ .

وليس لك أن تزعم أنك قد عرفت الكهرباء بعد أن عرفت
المكنتات ، لأنك لا تعرف عن الكهرباء أكثر من فروض
وتخمينات .

تزعم حينئذ أنها أمواج فلماذا تنموج ولا تستقيم ؟ .

تقول إنها في بحر من الأثير فها هو الأثير إلا أنه فرض
مزعوم ؟ .

تقيس سرعة النور فلماذا نحدد بهذه السرعة وبماذا نملل أنه
لا ينقص أو يزيد ؟ .

تتكلم عن اتجاه النور فأين ينتهي بعد هذا الاتجاه ؟
أيقف فاذ الذي يقفه ؟ أيسرى إلى غير نهاية فأين هي مقاومة
الأثير المزعوم ؟ .

تعود إذن إلى الأثير لتطلق عليه أوصافا لا دليل لها ولا يزال
تصدىق كل وصف للآله أهون من تصديقها .

هو جسيم وليست له صفة واحدة من صفات الأجسام .

فإن لم يكن كذلك فهو عدم تفسر به جسيم الوجودات .

في السياسة المغربية

للأستاذ محمد العربي العلاني



كتب الأستاذ محمود شاكر في العدد (٧٥٨) مقالا بعنوان « لا تملاوا » تناول فيه قضية الاستعمار الفرنسي في المغرب من بعض جوانبها ، فلم يتعمق البحث ، ولم يستقص الوقائع ، ولم يتبع المقدمات إلى نتائجها ، فأدى به ذلك إلى بعض ما لا محمد عاقبته وآثره في الوطنيين من أهل المغرب ، على حين أنهم زعماءهم وأهل الرأي فيهم بالسفه والغفلة والتخاذل والتهاون في حقوق البلاد ، أو ما يشبه ذلك من أنواع التهم ليخلص من ذلك إلى الإشادة برجل أو رجال من أهل المغرب أثروا البقاء في مصر مختارين فساهم بذلك مجاهدين وأبطالاً وقادة ، حينما رمى غيرهم من زعماء المغرب بما رمى من أنواع التهم لأنهم آثروا أن يبقوا في مجال المعركة بين مواطنيهم يشدون عزائمهم ويقودونهم للكفاح وقد كنت ممن تمرض لهم الأستاذ شاكر في مقاله فحق لي بهذه الصفة أن أصحح بعض الوقائع التي أقيمت إليه فحسبها في مقاله بلا تحقيق ولا روية .

ولست أنهم الأستاذ شاكر في عروبته ووطنيته وحذقه ، ولكنه قد رضى أن يدخل في قضية ليس في يده من أسبابها إلا حديث أتى إليه فاعتقده كل الحق وأغفل ما وراءه من أسباب العلم إذ كان محدثه صديقاً غير متهم عنده بالهوى .

وللأستاذ شاكر موقف مثل هذا في قضية المغرب نفسها منذ سنين وقد راجع فيه اليوم نفسه ؛ فقد كتب في مجلة المقتطف منذ بضع عشرة سنة مقالاً إضافياً يعجد فيه الشيخ عبدالحى ويصفه بما لم يوصف به الصديقون والشهداء والمجاهدون ، والشيوخ يومئذ وإلى اليوم شوكة دامية في جنوب الوطنيين . وقد عرفت ذلك الأستاذ شاكر اليوم عن الزاهد العابد المحدث الراوية الذي وصفه بما وصف منذ بضع عشرة سنة بلا تحقيق ولا روية ؛ ثم انكشف له باطنه وقد كان حسبه هذا مثالا يحمله على ضرورة التروى قبل أن يكتب مقاله الأخير يصف به من يصف من المجاهدين بالغفلة والضعف ليضفي صفات البطولة والمجد على القاعدين للترفين ويتحدث الأستاذ شاكر في مقاله عن حزب الشورى

وهكذا نرى أن المشكلة لم تنحل في شأن المكنة التي تقتبس منها الضوء وتستمتع منها إلى أسرار الإضاءة ، وتدمجها بما شئت من الأسماء ، وتطلها بما شئت من أمواج أو غير أمواج ، وكهرباء أو غير كهرباء .

فكيف تنحل مشكلة العقل بكلمة واحدة : هي أنه موجود ولا وجود له في غير الدماغ ؟ .

ولا في الدماغ إذن يا أستاذ ساعلك الله !! .

إن السلوكيين Behaviourists أصحاب القول بالعقل الدماغى لا يحسبون مسألة التفكير بهذه البساطة التي تنحل حالا على هذا النوال ، لأنهم يسلطون أنها « مشكلة » ثم يحاولون أن يفسروها فيخيل إليهم أنهم قد فسروها بقولهم إن التفكير مستمد من الكلام .

وفيثاغوراس سخييف عندك يا أستاذ .

فأعطنا الحق الذى سمحت به لنفسك ، لتقول على حق أن هؤلاء السلوكيين سخفاء .

فالمقول أن الإنسان تكلم لأنه فكر ، وليس بمقول أنه يفكر لأنه يتكلم ؛ إذ كان الحيوان خليقاً أن يتكلم ثم يفكر كما فعل الإنسان .

أما إن قيل إن الإنسان قد تكلم بعد أن أصبح جهاز النطق فيه صالحاً للنطق وجهاز التفكير فيه صالحاً للتفكير -- فهذا هو العجب وليس هذا هو الحل الذى يبطل التعجب .

المصادفة العمياء تنعم جهاز النطق ، والمصادفة العمياء تنعم جهاز التفكير ، ويعضى هذا في الظلام ويعضى ذلك في الظلام ، ليتلاقيا معاً في الظلام !! .

وقد انحلت المشكلة حالا بشير إبطاء .

يا أستاذ

إن المشكلة معك هي أنك لا تضع السؤال ، ولا عقدة حينئذ ولا إشكال .

فإن شئت فضع السؤال أولاً ثم فكر في الجواب ، وأنت تعرف « حالا » أن الذين لم يسرعوا إلى الجواب مثل إسرائعك يمرفون على الأقل ما هو السؤال ، وإن لم يعرفوا على التحقيق كل ما يستدعيه من جواب .

هباسي محمود العذار

واتصل ما بينه وبين المقيم الفرنسي السابق قبل أن يأخذ حزب الشورى في مباحثاته الجارية . وانما بهذا فنكر على علل أو غيره محاولته وانما نريد أن تؤكد للكاتب أن فكرة لا مفاوضة هذه إنما نشأت منذ قريب لأسباب لا أجد داعياً لاشتغال قراء الرسالة بها .

وحزب الشورى وإن كان يمثل الأقلية في المغرب لا يريد أن يقطع السبيل على أحد من المجاهدين أو يعرم رأياً لا تقتضيه البلاد ملكاً وشعباً . وإذا كان هناك من ينبغي أن ترجع إليه الصحف المصرية في قضية مراكن فهو الأمير عبد الكريم الرجل الذي لا يدفع أحد في الشرق ولا في المغرب زعامته وإخلاصه ووطنيته التي ترتفع فوق الأهواء الحزبية المضللة . ولعل لا أكون فضولياً إن زعمت أن الذين ذكروهم الأستاذ شاكر من زعماء تونس والجزائر ليسوا معه على الرأي الذي نسب إليهم . وأرى من حقى بعد ذلك على الرسالة وقراءها وعلى الأستاذ شاكر نفسه وهو عندى أرفع منزلة مما وضع نفسه أن أبين له ولهم أن إقحام المثقفين من قراء الرسالة في قضية حزبية كهذه القضية التي نحن بصدد حلها ليس من مصلحة المغرب ولا من مصلحة العرب ، وليس فيه شيء من الحكمة وأمانة الرأي وبخاصة في هذا الوقت الذي اجتمعت فيه أحزاب المغرب جميعاً على رأى مشترك وهدف موحد في لجنة التحرير التي أنشئت بالقاهرة منذ أيام بحسن رأى سمو الأمير المجاهد محمد بن عبد الكريم وبرياسته ، فقد كان الأمل أن يحرص أبناء العروبة جميعاً على تدعيم هذا الائتلاف الوطنى المغربى الذى تمثله هذه الهيئة الناشئة لا أن يحاول كاتب ذو مكانة مثل الأستاذ شاكر أن يجعل فيه ثلثة ويلقى حوله بذرة من بذور الشقاق .

أما حديث المفاوضة قبل الجلاء أو بعد الجلاء فإننا نأمل أن لا يتأثر إخواننا في مصر بالجو الذى يعيشون فيه حين يعرضون للحديث عنه وعن قضايا بلاد لا يعرفون على وجه التدقيق ولا التقريب عن جوها السياسى شيئاً . وحسبى هذا التلميح دون التصريح بخدمة لقضية المغرب العربى . وأحب أن أؤكد للأستاذ شاكر أن ما يجرى الآن إنما هو غباريات ، وأنه لن يدخل في أية مفاوضة إلا بعد إعلان استقلال البلاد .

محمد العربى العلمى

والاستقلال بالمغرب فيزعم أنه حزب بلا شعب لأنه رئيس ونائبه بلا أعضاء ولا أنصار ، إذ الأعضاء والأنصار والشعب المغربى كله لا يستمعون إلا لرأى الزعماء القاعدين في القاهرة ؛ وهو يزعم إلى ذلك أن الزعيم محمد بن حسن الوزانى الذى يقود قضية المغرب اليوم كان في سالف أيامه تبعاً من أتباع هؤلاء القاعدين ثم انشعب وأنشأ حزبه . ويزعم أن حزب الاستقلال الذى رأسه علل القاسى في القاهرة هو الذى يمثل الرأى الحق حين ينادى من القاهرة بأن لا مفاوضة إلا بعد الجلاء والاستقلال ، وأنه صاحب رأى المناربة لا يعرم أمره . ويزعم أن زعماء تونس والجزائر وممثلهم في القاهرة يرون رأى علل القاسى في القمود وعدم المفاوضة .

يزعم هذا وغيره ، وقد قلت إن ما أتى إليّ من ذلك غير الحق ، وأن الحديث عن هذه الزاعم من شأنه أن يفتح للقول أبواباً لمعلمها أن تفسد بين زعماء المناربة وتفسد قضية المغرب أكثر مما يفسد حديث المفاوضات وما يتوقع من منافسات الانتخاب وغير ذلك مما استوحاه الكاتب من الجو المصرى الذى يعيش فيه غير متفطن إلى أنه يتحدث عن بلاد لم يرها وليس له من أسباب العلم بها وبأهلها إلا القليل أو ما دون القليل .

أما زعمه أن حزب الشورى والاستقلال لا شعب له ولا أنصار فقلت أستطيع أن أرد عليه رأيه في ذلك ما دام بعيداً عن البلاد ؛ وهى على كل حال قضية حزبية ليس من حسن الرأى أن يشتغل بها قراء الرسالة ، إذ كان البرهان العملى فيها في المغرب نفسه لا على صفحات جرائد القاهرة . وثمة برهان عملى آخر على مكانة حزب الشورى في المغرب هو ما بذل من تضحيات ، وما أتى رئيسه وأعضاؤه من نقي وتشريد ، وما زهق من أرواح مجاهدين تحت سياط الفرنسيين في صحراء المغرب ، ولم يرجع آخر أعضائه من النافي والسجون منذ سنة ١٩٣٧ إلا في سنة ١٩٤٦ . ولو علم الكاتب أن الماهد الملية الوطنية التي أنشأها هذا الحزب (مضافة إلى أنواع الجهاد الوطنى) تقيم في مختلف بلاد المغرب أكثر من ٣٥ ألف تلميذ وتلميذة لعرف ما فى اتهامه لهذا الحزب من التجنى والجحود .

أما أن حزب علل القاسى يرى أن لا مفاوضة إلا بعد الجلاء والاستقلال فقول جديد لم نسمع به . وقد حاول علل نفسه أن يفاوض الفرنسيين في العام الماضى ، ومضى في هذه المحاولة خطوات

يُعدُّ نفسه للموت . ويشير هذا خوفاً على مصير الأرواح في نفس سيبس Cebes — فيطمئنه سقراط على خلود الروح بأدلة ثلاثة يتبعها رابع — تشير مناقشتها مشكلات التذكر والتضاد وأزلية الروح وأبديتها ... وتناسقها وتناسخها .. الخ ... ولنفضل القول بإيجاز في كل مشكلة من هذه .

١ - الموت والارتحار :

١ - الحكيم لا يهاب الموت ولا يحفله — بل يشده ويرحب به — فهل معنى هذا أن ينتحِر ؟ وهل له بدلا من أن ينتظر وقوع الموت ويستجديه من الآلهة أن يضع حياته حداً ؟ لا — إن عليه أن يضع نفسه حيث رضىته الآلهة ، وألا يخلص روحه من سجن البدن إلا متى أرادت ، فالآلهة أدري بخيره منه — وهو حين يخرج على إرادتهم بفعل هذه الجريمة — كالثور أو الحمار يمسى صاحبه — فقد ارتكب أكثر من 'سكر واحد :

(أ) فهو أولاً قد ظن في نفسه القدرة على الموت والحياة . وهو خلو منها .

(ب) وافترض في نفسه حكمة أكثر من الآلهة — ومعرفة بخيره منهم ... وعناية بنفسه أكثر من عنايتهم ، حيث يكون الخير في الواقع ما أراده هم — ولو كان سجناً أو موتاً وهو الذي يفر من خيره في غير حكمة .

(ج) ثم هو يهب نفسه حرية واختياراً أن يفعل ما يشاء أكثر مما له في الحقيقة .

والنتيجة أن واجب الفيلسوف أن يرغب الموت ولا يرتكبه ، ولكن له أن يحاول فصل روحه عن بدنه وتمطيل حواسه عن فكره حتى يتمياً له سبيل المعرفة الصحيح ، ووسيلة التطهير والخللاص . وعليه حتى حين الخلاص النهائي أن يمهّد نفسه له ، وأن يميتها مرة ومرات ، فيمادى البدن ويتجنب كل ما يمت إليه بسبب ، حتى تحصل روحه المحكمة من العالم الآخر قبل أن تصل إليه ، وحتى تألف الموت فلا تفرغ له أو تفرق منه ، وبهذا المران على تطهير الروح يصل إلى الاعتدال الذي لا تطرق معه في صفة من الصفات ، كما يصبح سميحاً للحكمة وخلص النفس وتطهيرها مقصوداً لذاته ، لا لمقايسة ومبادلة أو ترجيح للذة أو خير أبعد — بمعنى أن يتطهروا بالحكمة لا يبتغونها لنفع أو غرض

مسابقة الفلسفة المطرب السنة الثومبرية (٢٠١٠)

١ - فييدون

للأسستاذ كمال دسوقي

للمحاضرة من المحاورات الأفلاطونية تاريخان : تاريخ حدوث وتاريخ تدوين ، وقد تكون الواحدة منها من أولى المحاورات وقوعاً وآخرها تدويناً — وقد تكون العكس — حسبما تصادف الرواية من ظروف الجدل على يد سقراط ، والكتابة على يد أفلاطون .

وفيدون آخر المحاورات السقراطية وقوعاً على التحقيق لأنها تنتهى بآخر مشهد من حياة سقراط ؛ بتجرعه السم وموته ، ولهذا يؤرخ لها بسنة تسع وتسعين وثلاثمائة التي مات فيها سقراط على أرجح الآراء . ومع هذا فهي ليست من أوائل المحاورات تدويناً عند أفلاطون — لما يبدو فيها من العمق والمثالية التي هي أدنى إلى الأفلاطونية — مع أن المؤرخين يسلكونها في المرحلة الأولى من تأليف أفلاطون : أو طيفرون ، واحتجاج سقراط ، وأقربطون ، وفيدون — التي يسمونها المرحلة السقراطية لقرب عهدهما ؛ ولذلك فالتنظر أن يكون فيدون قد روى هذه المحاضرة — ودونها أفلاطون بالتالي ، بعد زمن طويل من وفاة سقراط .

والمحاضرة قسماً غير متعادلين ، يفصل بينهما انصراف سقراط إلى ذكر شئ من تجربة — حين يبلغ الشك مبلغه في نفس محدثيه ، وكان من قبل قد استطاع أن يزيل كل شك في نفسه ، أما هنا — فهو يتوقف عن الجدل مضطراً لكي يتحدث عن نفسه واشتغاله بالعلوم والمذاهب .

والقسم الأول هو إذن أكبر القسمين — ويتناول ، بعد شيء من المقدمات تتعلق بظروف المحاضرة وشهودها وما انتابهم من شعور ، ثم زوجة سقراط — وفك أغلاله . الخ — تقول — يتناول الموت والانتحار . ووقف الفيلسوف من كليهما ، والحديث عن الموت بوصفه « انفصال الروح عن الجسد » يستتبع الحديث عن الروح والبدن ، والفرقة بين المحسوس والمثلثي المطلق ، حيث ينتهي سقراط إلى أن سبيل المعرفة الأوحى أن تمرد الروح إلى مفارقة البدن ، وإلى أن واجب الفيلسوف أن

٢ - خلود الروح :

وهنا يسوق سيبس على لسان العامة تشكيكاً في مصير الروح بعد انفصالها عن الجسد ، وقولهم إنها تصبح هباءً أو دخاناً تذروه الرياح - فيقدم له سقراط الأدلة على بقاء الروح في العالم الأزل - وسنقومها بترتيب ورودها .

٢ - فأولاً يقدم سقراط دليلاً يبدو أنه يريد به نظرية تناسخ الأرواح Transmigration أى انتقالها من بدن إلى آخر بعد موته - وإلى هذا يرمز بقوله « المذهب القديم الذي كنت أحدث عنه » أى الفيثاغورية ؛ وعلى هذا فلا بد أن نظل الروح باقية كما يخرج الحى من الميت . ولا تقوم صحة هذا الدليل إلا إذا سلمنا هذه النظرية الفيثاغورية ، بمعنى أنه إذا قام الدليل على أن الحى لا يولد إلا من الميت ، فقد صحت النظرية ، وثبت بالتالى خلود الروح وتناسخها ، وإذا لم يتم على ذلك دليل سقطت هذه الحجة ب - ولكي يقدم سقراط دليلاً آخر يبحث مسألة التضاد

فيما بين الأشياء : الكبير والصغير . والمعدل والظلم ، واليقظة والنوم ... الخ والفعل الذى به يتم الانتقال من الضد إلى الضد ذهاباً وجيئة ، وينتهى إلى أن الموت الذى نراه ، لا بد أن يكون ضده الحياة التى لا تراها موجودة - فأرواحنا لا بد إذن موجودة في العالم الأدنى - والحى لا بد أن يكون خروجه من الميت كذلك ، وإلا لا نعدم توالد الأشياء وأصبح مصيرها مصير « أندريون » النائم أبداً - فهذا الدور أو التماق بين الأضداد هو الذى يؤكد لنا خلود الروح ... وهذا الدليل كما ترى وجودى فكرى أكثر منه حقيقياً ، فالتضاد بين الأشياء مقولة من مقولات الفكر ، ومن عمل العقل والمنطق - نحن ندرك النوم باليقظة - ونميز الصحة بالمرض ، ولكن ليس محتوماً أن يتولد المرض من الصحة ولا النوم من اليقظة . حقاً إن السكون والفساد من نواميس الطبيعة - التى هى كما يقول - لا يفترض أنها تدبر على ساق واحدة لحسب - وما لم نسلم بنظرية التناسخ السابقة - فإن هذه الحجة لا تدل وحدها على خلود الروح .

(ح) والحجة الثالثة هى نظرية التذكر ، ويقصد بها أن أرواحنا قد أقامت قبل حلولها في البدن في عالم آخر نتذكر الآن ما عرفته فيه من قبل ، ودليلها - كما فى محاوره مينون - الإجابة الصحيحة التى يدل بها شخص ما عن سؤال صحيح بوجه إليه - ويكون التذكر بالتلازم - كالمحبوب والقيثارة -

وسيمياس وسيبس - أو بالتشابه أو التضاد - كما فى الحجة السابقة ، أو بالتساوى الذى يوجد مثاله - ككل المثل - فى عالم التجريد والذى نفيس عليه تساوى المعنى أو الحجارة أو قطع الخشب - التى ليست فى حقيقة متساوية - بل تنزع إلى التساوى الحى دون أن تبلغه - وهذه المثل نحن لم ندركها بالحواس ، بل بالحواس هى التى تذكرنا بها فى عالم المثل . وقد ولدنا ومعنا هذه المعرفة - أى أننا قد حصلناها قبل أن نولد - وما نحن الآن نتذكرها بطريق الحواس ؛ وإلا فلماذا قد حصلناها ساعة الميلاد أو بعده - فكيف سلبت منا بعد أن أعطيت لنا حتى ننساها ثم نعود فننتذكرها - وإذن فأرواحنا قد كانت موجودة قبل أن نولد ، وكذلك المثل المطلقة للخير والمعدل والحى والتساوى ... الخ التى تذكرنا بها حواسنا الآن - وهذه الحجة تثبت أزلية الروح - ولا تثبت أبديتها - كما شك سيمياس ، وعليه يرد سقراط بأنه من مجموع هذه الأدلة يقوم الدليل على خلود الروح .

(د) على أن أهم دليل يقدمه سقراط على خلود الروح - هو الحجة القائلة - بأنه إذا كان الجسم يفنى لأنه مركب يتحلل بالفساد - فالروح باقية لأنها بسيطة لا تتحلل ولا يجوز عليها التغير - لأنها ثابتة خفية يدركها العقل ولا تقف عليها أى الحواس ، وبذلك ففى أبدية خالدة شأن كل ما هو إلهى - حقاً أن المادة الجسمية تغشى بكثافتها على صفاء الروح وتدنسها بمخالطتها ، ولكن الفلسفة كما قلنا هى وسيلة تطهير البدن من هذا الجسم وإماتته مرات قبل أن يموت نهائياً - فإذا صح هذا التدريب على إماتة الجسد - رحلت الروح آخر الأمر نقية طاهرة ، ورفعت في نعيم إلهى مقيم . أما إذا كانت الروح تجر وراءها دنس المادة وكدر الشهوة ، لم تزل تجوم حائرة حول المقابر - جزاء إثم أسرارها الفجار في الحياة . وربما تغمصت هذه الأرواح الفاجرة الشريرة أجسام حيرار ذئاب أو حداثاً يزاولون فيها ميولهم وطبايعهم ، ولذا كانت الفلسفة سبيلاً لتجدر الفيلسوف ، واعتداله ، وتخلص روحه وخلودها سعيدة مع الآلهة . ولذلك أيضاً لم يكن سقراط أكثر اعتدالاً أو هناة أو تتردداً في أى وقت من حياته منه ساعة إعدامه - وهو يشبه نفسه بطيور النمل swans التى يزيد تغريدها قبيل موتها .

كمال رسوقى

(ينج)

المدرس بالمصورة الثانوية

حول رسائل

الصاحب بن عباد واعتزاله

للأستاذ محمد خليفة التونسي

قدم الدكتور أحمد فؤاد الأهواني إلى قراء « الرسالة » في عددها ٧٥٥ رسائل الصاحب بن عباد التي حققها وقدم لها الدكتور عبد الوهاب عزام بك عميد كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول ، والدكتور شوقي ضيف المدرس بها ، وكان مما عرض الدكتور الأهواني - ومن قبله المحققان - نزعة الصاحب إلى الاعتزال ، فقرر أنه وقف طويلاً عند قول المحققين للرسائل : « ونحن نجد في الرسائل نزعة واضحة إلى القول بالاعتزال والدعوة إليه » وأشار إلى أن البحث في الاعتزال والكلام وما يتصل بهما مما تهفو إليه نفسه ، وليس هذا بغريب منه وهو معنى بالفلسفة ، كما أشار إلى أنه كان يحب أن يجد في الرسائل ما يشبع رغبته ويرى من نصوص الصاحب نفسه ما يؤيد قول ياقوت : إن الصاحب كان « مثل أبيه يذهب مذهب الاعتزال » وذكر أن ما اعتمد عليه المحققان في نسبة الاعتزال إليه ثلاثة نصوص في الرسائل نقلها الدكتور ، وأشار إلى مواضعها من الرسائل ، أحدها في الرسالة التاسعة من الباب المباشر وهو باب التعازي ، ذكر فيها تعديل الله ولطفه في صنعه وصلاح فعله ، وثانيها في الرسالة الثانية من الباب السابع عشر وهو باب الآداب والمواعظ ، ذكر فيها الصاحب بلداً كان مستغلقاً « على أهل عدل الله وتوحيده ، والتصديق بوعده ووعيده » وثالث النصوص في الرسالة الثالثة من الباب المباشر أيضاً ، وهي رسالة إلى أهل الصيمرة وصفهم فيها بشهرتهم « بالذهب عن توحيد الله وعدله ، وصدقته في وعده ووعده » وكان بلدكم من بين البلاد كثرة^(١) آدم ، وشهاب في ليل مظلم ، وما في النعم أجل موقفاً وأهناً مشرعاً ، من النعمة في القول بالحق والدعاء إليه ، والتدين به والبعث عليه ، ومهانة

(١) كتبت هذه الكلمة « كثرة » بالفاء وربما كان الصحيح من الرسالة .

من شبه الله بخلقه فتتابع^(١) في جهده ، أو جوره في فعله ، فشك في حسن نظره وطوله »

وقد علق الدكتور الأهواني على النص الثاني بقوله « وشهرة المعتزلة بأسهم أهل المدل والتوحيد ، والوعد والوعيد ، أعظم من شهرتهم بالتعديل^(٢) والصلاح » كما علق على النص الثالث بقوله « وهذا نص آخر أكثر في الاعتزال بياناً ، فيه المدل والتوحيد والصدق في الوعد والوعيد ، ونفي التشبيه ، وامتناع التجوير » وقد وجد الدكتور في هذه النصوص بعد أن وضحاها على هذا النحو ما يكفي في نسبة الاعتزال إلى الصاحب ، فمقب عليها بقوله « وهنا نستطيع أن نطمئن إلى ما ذكره عنه ياقوت من أنه كان يذهب ومذهب الاعتزال » واستدرك على محقق الرسائل ترددهما فقال « ولكن الدكتور عزام بك والدكتور ضيف لا يطمئنان إلى أن الاعتزال « أكان هذا من عمله هو أم من عمل الدولة ، فقد كان عند الدولة يذهب - فيما يظهر - إلى الاعتزال . » ولما أربيع ملاحظات على ما سردته هنا من كلام الدكتور الأهواني وما يتضمنه من كلام الدكتورين المحققين والهدية عليه

(١) حكنا قبل الدكتور الأهواني الجملة عن الرسائل ، وأرى أن في الكلمة الأولى تصحيفاً وفي الأخيرة تحريفاً ، وأن صوابها « فتتابع في حق » سماعاً للجمع الذي كان من سنن كتاب هذا العصر وآدابهم ، وكان الصاحب ينسب هذه الآفة أكثر من غيره ، ونقل أبو حيان التوحيدي عن ابن السبكي في ذلك كلاماً طريفاً جداً يضيق عنه المقام (راجع معجم الأدباء ٦ / ٢٠٧ / ٨) ومعنى التتابع في الشيء التهافت فيه والإسراع إليه ، قال صاحب لسان العرب « يقال تتابعوا في الشر إذا تهاوتوا وسارعوا إليه » وفي حديثه صلى الله عليه وسلم : « ما يحل لكم على أن تتابعوا في الكذب كما يتتابع القرائن في النار » والتتابع الوقوع في الشر من غير فكرة ولا روية ، والتابعة عليه ولا يكون في الخير ، ويقال في التتابع إنه الحاجة ... وقيل التتابع في الشر كاللتابع في الخير .. فالتتابع هنا بكل معنى من معانيه مناسب ومعنى الجملة « تهاوت في حق الله وأسرع إلى الوقوع به من غير فكرة ولا روية » لأنه شبه الله بخلقه فجعله كمن خلقه ، وهو من أجل ذلك استحق المهانة وكانت مهانة الإنسان إياه من النعم الجليلة الموقفة ، المهينة للشرع « وهناك قراءة للنسب دون هذه « ومهانة من شبه الله بخلقه فتتابع في جهله ، أو جوره في فعله فشك في حسن نظره وطوله » وانها في جهله لمن شبه الله بخلقه ، والمعنى واضح ، والقراءة الأولى أفضل فيما أرى والمقام يضيق عن ذكر أسباب التفضيل :

(٢) يلاحظ أن معنى تعديل الله وصفه بالعدل فلا معنى للقول « وشهرة المعتزلة بأنهم أهل المدل أعظم من شهرتهم بالتعديل » فهذا شيء واحد .

هو فيما نقلت فنهما وعن الرسائل إذ لم يتجلى حتى الآن الاطلاع عليها كما نشرها المحققان الفاضلان .

أولها : ما أشار إليه المحققان ، ونقله الدكتور الأهواني من نصوص صاحب الثلاثة - المشار إليها قبل - ولا سيما ثالثها يحمل الباحث على الاطمئنان إلى أن صاحب كان يقول بالتوحيد والعدل ، والوعد والوعيد ، وهذه - دون شك - أصول ثلاثة من أصول مذهب المعتزلة الكلامي ، ولا داعي للتشكك في نسبتها إلى صاحب مع ورودها في نصوصه ، إذ ليس الباحث مطالباً ببيئات أقوى ولا أكثر من هذه البيئات ، وإن كان مما يرحب به وجود بيئات نصية كذلك تكون أكثر تفصيلاً ليضعها إلى ما لديه ، كما أنه ليس على الباحث أن ينبش عن قلب الرجل ليرى ما في سريره ، ولا مبرر بعد ذلك للشك أو التردد حتى يثبت أن لصاحب نصوصاً تعارض هذه النصوص ، وهذا ما لم يثبت حتى الآن . والدكتور الأهواني لم يجد عن مسلك العالم حين اطمأن إلى نسبة هذه الأصول الثلاثة إلى صاحب ، ولم يتابع المحققين في شكهما وترددهما ، وأنا أشاركه هذا الاطمئنان ، ولكني لا أذهب معه إلى أكثر من نسبة هذه الأصول إليه ، ولا أتمدى معه إلى القول باعتزال صاحب على الإطلاق بهذه النصوص وحدها حسبما ذكر الدكتور اتباعاً لرأى ياقوت فيه ، وسأوضح هذا في الملاحظة الرابعة .

ثانيها : ومن أجل هذا الاطمئنان حتى للدكتور أن يستدرك على المحققين ترددهما الذي لا مبرر له - وعدم جوابهما على سؤالهما « أكان هذا (أى الاعتزال) من عمله هو ، أم من عمل الدولة ، فقد كان عضد الدولة - فيما يظهر - يذهب إلى الاعتزال » والشك - كما يظهر من السؤال - لا مبرر له بعد النصوص السابقة - إلى ما ذكر ياقوت ونقل هنا - ولو لم يكن لدينا غيرها ، فضلاً عما سنذكر في الملاحظة الثالثة ، كما أن السؤال لا موضع له على هذا النحو ، فإذا يطمئن في اعتزال صاحب إن كان من عمله هو أو من عمل الدولة ؟ لنفرض أبعد الفروض وهو أن الاعتزال كان من عمل الدولة لأنه كما ذكر المحققان - « قد كان عضد الدولة يذهب فيما يظهر - إلى الاعتزال » فهل يوهن ذلك من اعتزال صاحب ويحملنا على الشك فيه ؟ ليسكن أن « عضد الدولة يذهب - فيما يظهر - إلى الاعتزال »

أولاً يكن ، فأى قيمة لاعتزال عضد الدولة في هذا الموضع لنرج به فيه ؟ أيطمن في إسلام ثابت لو زير أن يكون الملك الذي استوزره مسلماً ، وأن تكون دولته إسلامية ؟ ثم ما قيمة اعتزال عضد الدولة إن كان منتهى الثقة في القول به أنه - كما ذكر المحققان - فيما يظهر لها ، لا فيما ثبت لها ثبوتاً قاطعاً أو راجحاً ؟ ثم ما قيمته إذا لم يكن هناك دليل عليه ؟ بل ما قيمته إذا لم يثبت أن عضد الدولة كان يؤثر المعتزلة دون غيرهم بامتياز يدل على ميله إليهم فضلاً عن ذهابه مذهبهم ؟

لقد قرأت مما كتب في تاريخ عضد الدولة - وما هو بالقليل - فلم أجد فيه ما يدل على أن عضد الدولة كان يؤثر مذهب الاعتزال أو المعتزلة بمطاف خاص ؟ فن أبن هذا الذي ظهر للمحققين الفاضلين حين أشارا إلى اعتزاله ؟ وكيف ظهر لها ؟

لا أزعج أنى قرأت من تاريخ عضد الدولة أكثر مما قرأ المحققان ، فأعلم عندهما علم ما لا أعلم منه ، وهما - دون شك - أكثر اطلاعاً وفهماً منى ، ولست أبغى من معرفة ما ظهر لها من اعتزال صاحب غير مصدره وكيفية ظهوره !

ومع هذا قد وقفت في دراستي لتاريخ الاعتزال على أن هذا المذهب كان دائماً قوياً في أيام عضد الدولة وفي دولته خاصة ، إذ ظهر فيها كثير من شيوخ الاعتزال ، وتولى بعضهم الأعمال لها ، ومنهم من كان على صلة بعضد الدولة نفسه ، وكانت الدولة تعرفهم وتعرف ميولهم واعتناقهم الاعتزال ، ومع ذلك لم نجد ما يدل من قريب ولا بعيد أن الدولة كانت تؤثرهم بعناية خاصة إلا في أيام صاحب نفسه ، وهذا الإيثار كان من عمل صاحب وحده لا من عمل الدولة ، ومن المعروف أن عضد الدولة - هذا الذي يرى المحققان فيما ظهر لها أنه يذهب إلى الاعتزال - جاءته رسالة من ملك الروم فأجاب عنها في سنة ٣٧١ هـ ولم يختار لحل جوابه عنها إلا أبا بكر محمد بن الطيب الأشعري المعروف بابن الباقلاني أو الباقلاني ، وابن الباقلاني كان - دون شك - متكلاً على مذهب الأشعري شيخ أهل السنة ، وكان من أشد خصوم المعتزلة ، ألف الكتب للرد عليهم والخط من أقدارهم . وروى أنه أبى أن يخضع لرسوم البلاط البويهى حين أتى عضد الدولة فلم يكفر له^(١) في مدينته . أفلم يكن

(١) كان من رسم الرعية في مقابلة الملك أن تقبل الأرض بين يديه وهو المصود هنا . (تاريخ بغداد ٥/ ٣٧٩) .

فأظهرت الكراهة لا بساطه : وقلت : « بنا من الجد ما لا نفرغ معه للهزل » ونهضت كالغاضب ، فما زال يمتدح إلى مراسلة حتى عادت مجلسه ، ولم يمد بعدها لما يجرى مجرى الهزل والمرح^(١) » وليس في هذا الخبر ما يدل على أن نخر الدولة بشارك وزيره اعتزاله ، ولا أنه يرى للاعتزال امتيازاً على غيره ، وإلا لم يستدرك على صاحب مَيزَةُ الاعتزال بعنايته من سائر المذاهب الإسلامية الكلامية .

هذا إلى أن نخر الدولة — كما يجب أن يعلم — كان يعرف خطر وزيره في دوائه ، وحاجته إليه في تديرها بل فضله عليه إذ جملة هو وأعوانه على أملاك أخيه مؤيد الدولة في أصفهان بعد موته سنة ٣٧٣ هـ (٩٨٤ م) وأضاف إليها غيرها من حصون المتمردين عليها ، وكانت كلته فوق كلمة ملكه في دولته ، ولم يكن ينزل عن جلاله وكبريائه وحشمته معه .

ومن هذا العرض الموجز تفكشفت علاقة ملوك الدولة البويهية الذين عاصرهم صاحب جميعاً بالاعتزال والمعتزلة ، وليس فيه من قريب ولا بعيد أية دلالة على تحيز من الدولة أيام صاحب إلى الاعتزال فضلاً عن اعتناقه .

ومن ها هنا يتضح لنا أن لا موضع للسؤال الذي سأله المحققان الفاضلان كما نقله عنهما الدكتور الأهواني في استدراكه عليهما فقال « ... فقال وليكن الدكتور عزام بك والدكتور ضيف لا بطمثنان إلى أن الاعتزال » أكان من عمله هو (الصاحب) أم من عمل الدولة ، فقد كانت عضد الدولة يذهب — فيما يظهر — إلى الاعتزال

بل إن هذا السؤال الذي ترك المحققان الجواب عنه دون مبرر — يتضح من وضعه على هذا النحو أنه محاولة للافلت من القضاء بحكم مع هذه المقدمات الواضحة ، وهذه المحاولة لم تحل الإشكال الأميل بل خلقت إشكالا آخر لم يكن داع لحلقه ، وأقحمته في غير موضعه ، ثم تركته دون حل كما تركت سابقه ، وأثارت شكاً لا موضع له ولا حاجة إليه ، وكان حل الإشكالين ميسوراً .

محمد فليحة التونسي

(له بقية)

(١) الكلمة في نص البتية « المزح » ولا موضع لها ، ووردت مصححة في معجم الأدباء ، ويجوز أن تكون « الدح » فصحت .

في دولة عضد الدولة من رجال المعتزلة الذين تعرفهم الدولة وتعرف فضلمهم من يحمل هذا الجواب كما حملته ابن الباقلاني السني ختم المعتزلة ؟

لو أن الدولة البويهية عطفت على المعتزلة وآثرتهم بعناية خاصة لكان هذا موافقاً لأصاها العام لأنها شيعية زيدية ، والزيدية في كل زمان ومكان — منذ عهد زعيمهم زيد بن علي تلميذ واصل بن عطاء شيخ المعتزلة — يدينون بالاعتزال أصوله كلها أو بعضها ، أو يعطفون عليه ، وكانت الفتن كثيرة في عهد الدولة البويهية بين أهل السنة والشيعة ، وكانت الدولة دائماً تنصر الشيعة على أهل السنة ، بل كان بعض هذه الفتن يشير أهل السنة عموماً على تشيع الدولة ، ومع ذلك لم نقرأ خبراً عن فتنة بين المعتزلة وأهل السنة نصرت الدولة فيها المعتزلة على أهل السنة كما نصرت الشيعة عليهم لقد ظهر الصاحب في عهد ركن الدولة وعضد الدولة ، ووزر مؤيد الدولة ثم أخيه نخر الدولة ، فأما ركن الدولة فلا نعلم من أمر نظره إلى الاعتزال إلا خبراً واحداً مؤداه أنه أرسل مرة إلى الصاحب عيئاً من عيونه يشاكه في مجلسه ويتحدى سلطانه ومذهبه الاعتزالي ويحسد له في بعض تعليماته : وهو القول بخلق القرآن^(١) . وأما عضد الدولة فقد قدمنا مبالغ علمنا في نظره إلى الاعتزال ، وأما مؤيد الدولة فلا أعرف من أخباره ما يدل على ولاء ولا عدا للاعتزال ، وأما نخر الدولة فلا نعرف في نظره إلى الاعتزال غير خبر واحد ذكره الصاحب في صدد علاقته واحتشامه فقال^(٢) : ما استؤذن لي على نخر الدولة وهو في مجلس الأنس إلا انتقل إلى مجلس الحشمة فيأذن لي فيه ، وما أذكر أنه تبذل بين يدي ومازحتني قط إلا مرة واحدة فإنه قال لي في شجون الحديث : « بلغني أنك تقول : المذهب مذهب الاعتزال ، والنيل^(٣) نيل الرجال »

(١) معجم الأدباء ٢٠٩/٦ — ٢١٣ نقل عن كتاب أخلاق الوزيرين لأبي حيان التوحيدي الذي يحكي الخبر كما عاينه في حضرة الصاحب ، ويبدو لي أن في النص (ص ٢١٣) اضطراباً إذ أسند الجاسوس القول بخلق القرآن إلى ختم الصاحب ، مع أن القول بخلق من مستلزمات التوحيد عند المعتزلة ، وما دام الصاحب يتدين بهذا المبدأ على طريقهم فلا مناس من أنه كان يقول بخلق القرآن .

(٢) عن بتيمة الدهر للتمالي ١٧٩/٣ — ١٨٠ ، وقد نقله عنها باتوب مع تنبيه طفيف (معجم الأدباء ٢٨٤/٦) وهو في البتيمة أخضر وأقوم . (٣) الكلمتان في المصدرين السابقين فاحشتان ، وقد اقتديت في كتابتهما هكذا بما نقله المرحوم أحمد زكي باشا في نشرته كتاب « الناج في أخلاق الملوك » للجاحظ (ص ٧٩ منه) واقتدى هو فيه بطابع كتاب « طراز المجالس » للشهاب الخفاس ص ٧٩ .

طرائف من المعصر المملوكى :

الحركة العلمية

للأستاذ محمود رزق سليم

—•••••

جميل بنا أن نعتى بدراسة تاريخ مصر ، ونتعرف إلى نواحيه المختلفة ، لنشهد ما قدمه بنوها في أجيالهم المتعاقبة من جهود في مضمار العلم والأدب ، ولنعرف مكاننا من المدنية ، وموقفنا من الحضارة الفكرية . فإن مصر في عصورها الممتدة كانت تشترك باستمرار وبرغبة ذاتية في بناء المدنية والحضارة ، وتسمى دائبة لرفع لوائهما ونشر سلطانهما .

والعصر الذى نحن بصددده ، عصر فريد من عصور مصر ، وبخاصة في أنجازاته العلمية . وهو لذلك جدير بالبحث والتحقيق أكثر مما يبحر وعصر . بل لا أغلو إذا قلت إن النعوض لا يزال يكتنفه من نواح عدة . بل لا تزال الفكرة الركيزة في أذهان كثير من الأدباء عنه ، مشوهة ظالمة . ولذلك يتأبى بعضهم على البحث فيه وتمحيص نواحيه . مع أن أبناءه حملوا من أمانة العلم والأدب ما يشود . ألغته المقادير على كواهلهم إلقاء ، فحلوا الأمانة وأدوا الرسالة ، صابرين في الحبل ، محسنين في الأداء .

نهضت بغداد من قبل ، برسالة العلم والأدب زهاء خمسة قرون وكانت — في الجلة — شمسا للبلاد الإسلامية شرقها وغربها تستضيء بهديتها ، وتسير على قبس منها . فلما دهمها التتار عام ٦٥٦ هـ ، وأزالوا خلافتها ، ونكسوا بأبنائها وعينوا بمؤلفاتها ، ضاعت بذلك نمار كثيرة من نمار هذه القرون الخمسة ، ووقفت بها رحي العلوم والآداب إلا لاما لاما . هنا لم نجد القاهرة بدامن الظهور في الميدان ، أكثر مما كانت ظاهرة ، وتقدمت لحل أمانة العلم والأدب برغبة وشجاعة . ولولا تقدمها لخبأ الزناد وكبأ الجواد ، وانقطعت سلسلة العلوم والآداب الإسلامية ، وتوارت عن الأنظار أمدا طويلا .

وقد هيا الله للقاهرة من الأسباب ما عاونها على بلوغ غايتها . فقد كانت حينئذ عاصمة لأقوى مملكة إسلامية ، ورزقت ملوكا أحسوا أن عليهم واجب حماية الدين والحرم على بلاد المسلمين . فدانوا عنها أعداءها ، ووطنوا لاهلها أكتافهم ، ورحبوا بالقادسين

منهم إلى مصر . وأغرى العلماء ماني مصر من خير وكرم وحسن وقادة وطيب إلقاء . فوفدوا إليها نباطا من كل فج ، واتخذوا بمضهم دار مقام ، حتى أصبحت منتدى العرب ومحج المسلمين ، وقبلة علمائهم وطلاب العلم فيهم ، من كل بلد ومحلة .

وقد دعمت هذه الحياة بتجديد الخلافة الإسلامية منذ عصر الظاهر بيبرس . فأصبحت الخلافة — على علائها — ذات قوة أدبية لها تأثيرها الروحي في نشاط الحركة العلمية الإسلامية ، وعاونت مصر على أن تكون بيئة دينية سالحة جليلة القدر ، ينبت فيها وينقى إليها علماء الدين على اختلاف مذاهبهم .

ولم يدخر السلاطين وسما — كما نوهنا — في تبجيل العلماء وتمظيمهم أمام الخاصة والعامة ، حتى اطمانت نفوسهم ، ولم يلهمهم عن الإنتاج العلمى شيء من جوع أو خوف . وحرصت أجيالهم الناشئة على متابعة جهودهم العلمية لتظل لهم هذه المنزلة السامية لدى السلاطين والشعب .

ونذكر منهم على سبيل المثال : عز الدين بن عبد السلام وكان يدعى بسلطان العلماء ، وكان الظاهر بيبرس يهابه ويقدر رأيه . وتقى الدين بن دقيق العيد ، لأن السلطان لا يجن يقبل بده . وعلاء الدين السيراى فرش له السلطان برفوق السجادة بيده .

وبإلى جانب هذا سرت في السلاطين والأمراء ومن إليهم ، روح عجيبة قوية للإبقاء أثرهم وتخليد ذكرهم . واتخذوا إنشاء المساجد الجامعة في مقدمة وسائل هذا الإبقاء والتخليد ، قرى إلى الله وزلقى ، ولتعيد فيها الناس وليتفقهوا في دينهم . وقرروا فيها الدروس ، وعينوا لكل درس شيخا ، ورسدوا لذلك الأوقاف الطائلة ، ليعيشوا لهذه المدارس بقاء طويلا ، وأجروا على الطلبة المنقطعين فيها لطلب العلم نفقات وأطعمة وأكسية ، وألحقوا بكل مدرسة دار كتب قيمة ، حسدوا إليها الآلاف من المؤلفات الثمينة .

ولم تكن هذه الجهود مقصورة على مدينة القاهرة وحدها . بل اشتهرت إلى جانبها مدن أخرى كثيرة كالاسكندرية وأسيوط وقوص ودمياط ومنفولوط وبوتيج واخميم وأسوان وبلبيس ، هذه فضلا عن المدن الشامية والحلبية والحجازية .

وبلغ عدد مدارس القاهرة نحو خمسين ، فوق ما أنشأه الأيوبيون والفاطميون من قبل . ولا يزال كثير منها ماثلا للعيان في القاهرة حتى اليوم .

ثم قد يدفع به حظه إلى المتقن ثم الترقى في سلك الإمامة . وقد تسوق إليه المقادير في أعقاب ذلك سلطنة البلاد .

وقد عني السلاطين عناية بالغة بتنشئة ممالئهم تنشئة عسكرية سالحة ، كما عتوا بطامهم ومرايهم وصحتهم ، فتخرجوا — كما قال القرزى — « سادة يدبرون الممالك ، وقادة يجاهدون في سبيل الله ، وأهل سياسة يبالغون في إظهار الجليل » . وبتوالي الأيام تراخى السلاطين في بذل هذه العناية فاضطرب نظامهم شيئاً فشيئاً ، وكان لذلك أثره السيء في أخلاقهم ، فانقسموا ، شيعا ، وتدخلوا في سياسة الدولة فأفسدوها ، وشغلوا بأطعامهم غير المشروعة وقعدوا عن الجهاد الصادق ، حتى صاروا كما قال القرزى « أرذل الناس وأدناهم وأخصهم قدراً ، وأشجعهم نفساً ، وأجهلهم بأمر الدنيا ، وأكثرهم إعراضاً عن الدين ، ما فهم إلا من هو أذن من قرد ، وألص من قارة ، وأفسد من ذئب » .

أما التعليم الشعبي فقد كان مقره المساجد وما شابهها مما أنشأه السلاطين والأمراء ومن لف لفهم — كما ذكرنا — ومما قيل في سبب إنشائها ، فهي بلا شك كانت الدعاة الأولى من دعائم هذا التعليم . وقد كانت بمثابة جامعات علمية عظيمة الشأن ، بها من الجامعات الحديثة خصائصها ومميزاتها ، وإن اختلفت عنها في الشكل والعرض . بل لعل التعليم بها كان ميسراً أكثر مما هو ميسر اليوم . وكان الطالب بها حراً يندمج في عداد من يشاء من الطلاب ويقعد أمام من يشاء من الأساتذة . ويضع جدول حصصه بنفسه ، ويظوف على كل مسجد إذا شاء ليقتطف منه أشهى ثمراته . ولا يتجمل في سبيل ذلك شيئاً من نفقات التعليم ، بل بالعكس كان يجد البر والمعونة من كثير من أهل الفضل . فإذا أتم إحدى مراحل تعليمه بقرأة كتاب في مادة ، أو بحفظ طائفة من الأحاديث أو نحو ذلك ، منحه شيخه إجازة يشهد له فيها بتمام هذه المرحلة . وكان السلاطين يعنون عناية دقيقة باختيار الشيوخ المدرسين في مدارسهم ، ينتخبونهم من بين الأفاضل المشهود لهم بالعلم والفضل والذين لا ينون بجمع العلم ونشره غايتهم الكبرى . وكان بعض هؤلاء الشيوخ يستمر في مدرسته طويلاً ، ويلازمها ، حتى نستطيع القول — جملة — إن كل مدرسة كان بها منهم هيئة تدريس خاصة بها . لكل مادة من المواد المقررة بها أستاذ . ونذكر على سبيل المثال شيوخ الجامع المؤيدي وهم : شهاب الدين بن حجر السقلاني لفته الشافعية . ويحيى بن محمد بن أحمد البجائي المغربي

وفي مقدمة هذه المعاهد التعليمية مستشفى قلاوون . بناء عام ٦٨٢ هـ . وكان عبارة عن مدرسة للأطب الكبيرة . به قسم للحميات ، وقسم للرمم ، وقسم للجراحة ، وقسم للأمراض النسوية ، وغير ذلك . وجهاز بمن يهيمن عليه من الأطباء والموظفين والمرضين والصيادلة . كما زود بأدوات العلاج والصيديات . وأعدت به أسرة للمرضى ، وقسم للعلاج الخارجى وكل ذلك بالجمان . وهيئت به قاعة محاضرات تلقى بها دروس الطب ، كما زود بمخزنة كتب جليلة القدر .

هذه العوامل جميعها من شأنها أن توظف المهمة وتشجع الميزة ، وتهيئ السبيل إلى الاشتغال الجدى بالعلم . وقد انتهز العلماء هذه الفرصة النادرة ، وتلك الموارد الشبيهة التي أتاحت لهم ، فعملوا منها وعلموا . وكان لهم مما أصاب العرب والمسلمين في تراهم الفكرى ، ببغداد وغيرها خير حافز على النهوض بتدوين العلوم تدويناً جديداً ، وبالإضافة إليه كلما وجدوا مزيداً ، حتى يعمروا اللغة والدين شيئاً مما فقداه في محنهما ، وحتى يبرئوا الذمة أمام الله والتاريخ ، ويبرهنوا أنهم حملوا العبء بقلب ثابت ونفس راضية . وقد كان لهذه الحركة العلمية مظاهر متعددة ، أهمها مظهران هما : الحركة التعليمية ، والحركة التأليفية .

أما الحركة التعليمية فقد انتعشت انتعاشاً محموداً . وكان بالبلاد نوعان من التعليم هما : التعليم المسكرى ، والتعليم الشعبي . أما المسكرى فقد كان مقصوراً على طائفة المالك ، محظوراً على أفراد الشعب . وهذه إحدى نقائصه في نظر المؤرخ الوطنى . وكانت طباق القلعة المقر الرسمى لجنود الدولة منذ عصر قلاوون يجلبون إليها من الأسواق صفاراً ، ويقسمون فرقاً حسب أجناسهم ويقم في كل طبقة جنس ، يشرف عليه عدد من الزمامين « الأغوات » ويقوم هؤلاء الصفار بتمريعات رياضية سهلة مناسبة ويعلمون الكتابة والقراءة ، ويلقون آيات من الذكر الحكيم ، ويمودون الصلاة وبعض الفروض الدينية . ويحفظون شيئاً من الأدعية ، وتحب إليهم الأخلاق الفاضلة والدفاع عن الدين والجهاد في سبيل الله . ثم إذا بلغوا الحلم يملكون تمرينات رياضية أشد قسوة ، ويمرنون على السباحة واستعمال السيف والرمح ، وقذف الأطواق وركوب الخيل والمبارزة ورمى النشاب ولعب الكرة . وفي هذه المرحلة تنضج مواهب الملوك وتبرز خصائصه وتبدو مهارته وشجاعته . فإذا عرف فضله وشهد بلاؤه ، صار في عداد المحاربين

وكان منهم «المتسبون» وهم الداعون الذين قيدت أسماؤهم لينالوا شيئاً من الأوقاف بصفة مستمرة . أما غيرهم فأخلط شتى من عبي العلم من الشعب

وأهم ما يوجه إلى هذا الضرب التلاميذ من النقد — إذا نظرنا إليه نظرة حديثة — أنه لم يكن سياسة للدولة مرسومة ، بل كان نتيجة جهود فردية ، وأنه لم يؤد إلى الشعب باعتباره حقاً من حقوقه ، بل باعتباره منحة له وتفضلاً عليه . وأن الأساتذة عنوا بنشر العلم فحسب ، ولم يتخذوه وسيلة إلى إيقاظ الشعب وتنبيهه إلى حقوقه وواجباته .

غير أنه — بلا شك — نظام قد أنجب . وأغلب بجنائنه من رجال الدين — وبلغ بعضهم مرتبة الأئمة المجتهدين — وقاموا بحركة تأليفية مباركة ، هي حلقة فريدة من حلقات العلوم والآداب كان لا بد لحياة العلم والأدب من وجودها .

أما هذه الحركة التأليفية فكانت المظهر الخالد للحركة العلمية . وشجعها السلاطين ودعوا العلماء أحياناً إلى التأليف برسم الخزانات الشريفة . فنهض المؤرخ أبو بكر بن أبيك ، ألف كتابه « كنز الدرر » للناسر بن قلاوون . والطبيب محمد القوصوي ألف للنوري كتاب « كمال الفرحة » في الطب . وعلماد الدين مومني بن محمد اليوسفي المصري ألف كتابه « كشف الكروب في معرفة الحروب » للسلاطين جفمق .

على أن التأليف لم يكن وفقاً على تشجيع السلاطين أو سواهم ، بل كان غاية من غايات العلماء . لذلك نشطوا في ميدانه نشاطاً هو مثار الدهشة والمعجب ، لبلوغه حداً من الإعجاز . وتعددت مؤلفات بعضهم حتى عدت بالآلاف ، وفي فنون شتى . وانسدت أحياناً حتى صارت موسوعات جامعة امتدت فيها آفاق العلم . وعنوا بعلوم الدين أولاً ، ثم التاريخ وفنون العربية ، ثم غيرها . وحظي تاريخ الأعلام والخطط بنصيب كبير من العناية . وهكذا ترى أن مؤلفاتهم لا غنية عنها للفقيه والمؤرخ واللغوي والأديب والمحدث والنحوي والبلاغي وغيرهم . وبعضها بعد فريداً في باب منقطع النظير .

وأهم ما يوجهه الناقد إليها أن بعضها رسائل صغيرة ، وأن منها ما يشوبه الجمع والنقل ويندر فيه الابتكار . وأن منها المتون وشروحها ومختصرات شروحها . غير أن هذه النقادات بسبيل الرد عليها وتعليلها . فسياق العصر كان يدعو إليها إسراراً إلى تدوين المفوظ وبجملته إلى تسجيله حذراً من أن تمسح به يد الزمان

لغة المالكية . وهز الدين عبد العزيز بن علي بن الفخر البغدادي افقه الحنابلة . وبدر الدين محمود الميناني للحديث . وشمس الدين محمد بن يحيى للقراءات . وشمس الدين محمد بن الديري لفقه الحنفية وشيخ للصوفية . وهكذا .

أما مواد التعليم فقد كان طبيعياً أن تكون العلوم الدينية في مقدمتها ، بدافع من رد الفعل الذي أحدثته حوادث اغتيال العلماء ومؤلفاتهم في بغداد وسواها من عواصم المسلمين . وبدافع ما أضرنا إليه من أن البيئة المصرية تحولت إلى حد ما بيئة دينية أقيمت عليها تيمات الذود عن الدين وعلومه وأهله . وبلغها علوم اللغة للحاجة الماسة إليها في درس العلوم الدينية وضبط شئون الدولة . وبلغها غيرها من المواد لأنها تكمل المتعلم وتؤهله لتركيز علمه . وكانت مواد التعليم هي الفقه بمذاهبه الأربعة ، وأصول الفقه ، والحديث والتفسير والقراءات والوعظ والكلام والتصوف ثم دروس النحو والصرف والأدب ، ثم الطب والفلك والهندسة والتاريخ والتقويم والرياضة .

وقبل أن يدرس الطالب هذه الدراسة ، يمر بأحد المكاتب المنشأة بجوار المساجد ، ليحفظ به القرآن الكريم ويتعلم مبادئ القراءة والكتابة .

ولم يكن لدور التعليم مناهج خاصة في موادها المقررة . وأغلب الظن أن منهج المادة كان رهناً برغبة أستاذها . فهو وحده يختار الكتاب الذي يقرؤه فيها لطلابه . ومهما يكن من شيء فقد سمدت كتب خاصة باتخاذها مناهج لموادها المقررة . نعرف ذلك إذا احلنا على تراجم الأعلام من علماء العصر ؛ لذلك نستطيع القول إن من بين الكتب التي أنجحت العناية إليها لدراستها ما يلي : التنبيه . المنهاج الأصلي للنوري . الشاطبيتان في القراءات . العمدة للحافظ النسفي في الأصول . والكافية لابن الحاجب في العربية . ومختصر القدوري في الفقه . وجمع الجوامع . والأربعمون حديثاً النووية . وتلخيص المفتاح في البلاغة ، والكفر في فقه الأحناف . والنار في الأصول . والنية ابن مالك في النحو . والملمحة . والمختار والنظومة كلاهما للنسفي في الفقه . ونظم قواعد الإعراب لابن الهائم . وإساغوجي في المنطق . وكتب الحديث الستة .

وقد امتلأت المساجد بطلاب العلم على اختلاف مذاهبهم ، واختلاف بلادهم ، ممن وفدوا على مصر يستظلون بظلالها ويستمدون رنداها وينهلون من مواردها . حتى ضاق بهم بعضها على رحبه ،

سؤال ينتظر الجواب

لمهندس كبير

تأتينا مياه النيل سنة بعد أخرى بطريقة منتظمة متكررة ، إلا أن مقدار ما يصلنا منها يختلف في الأوقات المختلفة من السنة نفسها كما يختلف من سنة لأخرى . ولنا هنا بعدد البحث في أسباب هذه الاختلافات الموسمية أو السنوية أو معرفة النتائج التي ترتب عليها لأن هذا معناه دراسة نظم الري بالقطر المصرى .

ولكننا بعد أن نلقت النظر إلى ناحية واحدة من هذا الموضوع وهي الملاحظة في تنفيذ المشروع الذي يدفع خطر الفيضانات العالية . إن إلحاحنا التي نتكبد بها من جراء هذه الفيضانات العالية الخطرة ليست بالقدر اليسير الذي يمكن إهماله أو غض النظر عنه لأنها ليست قاصرة على ما يعيب هؤلاء الذين يطعن عليهم الفيضان فيكتسح زراعتهم ويحرمهم أرزاقهم ويمدهم أفواتهم ، بل إن الحكومة تخسر ما تحصله من أموال هذه الجهات المنكوبة كما تتحمل بصروفات أخرى كبيرة فيما تتخذه من إجراءات لدرء خطر هذه الفيضانات وهذا بجانب ما يستجوز على الأمة من قلق واضطراب إن مشروع انتقاء الفيضانات العالية تدرسه الجهات المختصة ؛ وقد حصل الدارسون على معلومات وأبحاث كثيرة يدور بدورها ، ولكننا نتساءل ألم تكن هذه المدة كافية للوصول إلى نتيجة يصبح أن تكون أساساً لقرار يتخذ ؟

ثم هيئات أن تقلل هذه النقدرات من خطر تلك المؤلفات . وإلا . فإن فيا ألفه السابقون كتاب كالإتقان للسيوطي ، أو شرح البخاري ومقدمته لابن حجر ، أو الفتاوى لابن تيمية ، أو المدارج لابن القيم أو المنى لابن هشام ، أو الجروع للنووي ، أو تكملة للفق السبكي ، أو الخطط للقريري . بل أين مثل ما كتبه مؤرخ مصر في تاريخها وتاريخ أعلامها من أمثال الإدريسي وابن خلكان والتاج السبكي وصاحب الدرر ، وأبي المحاسن والصفدي ، وابن إياس والسخاوي . بل أين الموسومات التي تشابه موسومات الفلقشندي والنويري وابن منظور وابن فضل الله ؟

وبعد فهذا غيض من فيض ، وقل من كثير ، ولغة خاطفة من شمس ضاحية ، وقبس عاجل من سراج وهاج .

(حلوان) محمود رزق سليم

إن هذه الفيضانات العالية الخطرة ليست خاصة بنيلنا وحده ، لأن هناك كثيراً من الأنهر في البلدان الراقية تفيض على الأودية التي تجري فيها وقد كانت فيما مضى سبباً في نكبات ساحقة وكوارث ماحقة ، ولكنها عولجت على النحو الذي منع حدوثها أو حد من شدتها . وليس من الميسور أن نذكر هذه الطرق الفنية المختلفة التي تكيفت تبعاً لظروف كل حالة منها على حدة ، ولكننا نعلم أن وجهة النظر الفنية في مصر تتجه إلى تصريف مياه الفيضان في موقع منخفض قريب من مجرى النهر يتسع لاستيعاب هذه المقادير الكبيرة من مياه الفيضان ؛ على أن تحفر قناة لتصل النهر بهذا المنخفض ، فكيف لا يقرر إلى الآن أين يكون هذا المنخفض وصيانة القناة وغير ذلك وما هي النفقات التي يطلبها تنفيذ المشروع ؟ إننا لا نجد سبباً يبرر هذا التأخير غير ما سمعناه من أن ملفات هذا الموضوع تظهر وقت وقوع الكارثة حتى إذا ما مرت اختفت هذه الملفات لتظهر مرة أخرى عند حدوث الكارثة التالية . إن في الولايات المتحدة حالة في وادي التيس تشبه حالتنا ، قد كانت الأمطار الغزيرة والسيول المدمرة تكتسح الوادي من وقت لآخر فتملك الزرع ونجرف معها تربة الأرض نفسها فتتركها جرداء لا تصلح للزراعة إلا بعد مشقة ، وتبع ذلك حتماً أن عاش سكان هذا الوادي في ذعر مستمر يحاربون الطبيعة ولا معين ، ويتلقون النكبات ولا منفذ ، إلى أن قام أولو الأمر فنفذوا المشروع المناسب لمواجهة هذه الحالة فحفروا القنوات لحصر جريان الماء حيث يريدون ، وأقاموا الخزانات والسدود ، وأنشأوا الجسور فخلقوا من الذعر طمأنينة ، ومن البؤس والفقر سعادة وثرأ ، وأصبحت هذه الجهات جنات خضراء يعيش أهلها الآن في نعيم مستديم . وزيادة على ذلك فقد أمكن توليد القوة المحركة من مساقط المياه فيها فزادها رفاهية وخيراً عمياً . أما نحن فسوف أتينا الفيضان الخطر التالي ونحن كما نجدنا الآن ! فهل هذا يجوز ؟

إذا كان هناك من الأسباب ما يبرر هذا الإبطاء أو التأجيل فلينبعثنا به أولو الأمر إذا كانت الصعوبة مالية أو فنية حتى لا تصبح عرصة للوم أو التنديد .

إننا نريد أن تثبت للشعب أن الرجال الذين يشرفون على شئونهم ساهرون على مصالحته يعملون على إصلاح هذه الشئون . وهذه واحدة من عدة مسائل أخرى أرى ضرورة الكتابة عنها إذا ما أردنا الخير لهذه البلاد .

« صهرنس »

٢ - فن المسرح (*)

(بحجة للاستاذ الفاضل زكي مالبات)

للاستاذ عبد الفتاح البارودي

المسرح وفنونه التصويرية:

ماذا يصور المسرح ؟ إنه يصور ما أودعه المؤلف في مسرحيته من أفكار وتجارب . ولما كان لهذا الفن - كما لكل فن - أسلوب خاص في التصوير كان من اللازم أن تكون تلك الأفكار والتجارب مما يمكن تصويره بهذا الأسلوب دون سواه . والمفروض أن طريقة التأليف المسرحي تجري - فينا - على النسق الآتي : يلتقط خيال المؤلف بعض احتمالات الحياة ويكون منها مجموعة مستقلة من الحوادث المتصلة تستحيل في ذهنه إلى حوادث مرتبة ترتيباً معيناً (Plot) وهذه يعبر عنها بواسطة شخصيات (Characters) وهؤلاء يعبر عنهم شعورهم وتفكيرهم عن طريق ما يلفظون به من قول (diction) .

فإذا جاز لنا أن نقارن بين الفنون عامة من حيث أساليب التصوير فإذا يكون شأن المسرح ؟ .

المشاهد أن من الفنون ما يجنح للخيال البهيم ومنها ما يهبط إلى الواقع السطحي، بينما المسرح - فيما يبدو - يشكل التجارب والأفكار المجردة في قوالب ملموسة دون أن يقلل من روعة ما كانت عليه « خيالا » أو يزيى بما صارت إليه « واقعاً » . يقول (آبر كرمي) وهو يشرح رأى أرسطو بهذا الصدد ما مؤداه : « إن الفن المسرحي إنما وجد لكي يعطي صورة ومادة لضرب خاص من التنبيه الخيالي . ووجود الفن يستلزم وجود التنبيه الخيالي ... ومن الممكن أن تصور الحياة كما هي تماماً ولكن الأمر الذي يحرك الشعور هو أن نتصور الحياة كما يمكن أن تكون وهنا يصبح الخيال قوة قادرة على الإيهام ... وربما كان عمل الخيال لا يبدو مجرد تقطير الأحداث الواقعية باستبعاد جميع نواحيها السخيفة ... » .

فهل لنا أن نتخذ من هذه الواقعية الفنية مبرراً قوياً لتفضيل الفن المسرحي على غيره ؟ المصطلح عليه أنه من الصعب - إن لم يكن من العبث - أن نفاضل بين الفنون بإخضاعها كلها لمقاييس جمالية واحدة بل ينبغي أن نراعي « الخامة » التي يستعملها كل فن على حدة . ومع هذا فقد نستطيع المقارنة بينها بالمقارنة بين الخامات المختلفة وحينئذ يتبين لنا بجلاء أن خامة المسرح أغناها عنصراً وأقراها قدرة على التصوير الحقي . فالمسرح بعناصره الثلاثة - أي التأليف والإخراج والتثيل وأدواتها ووسائلها الخاصة المتألفة - يمتاز على الفنون التي تصور « الجسم » - كالنحت - بالحياة والحركة ... ويمتاز على الفنون التي تصور « الشكل » - كالتمثيل اليدوي والآلي - بأبعاده الثلاثة ... ويمتاز على الفنون التي تصور « الحركة » - كالرقص والباثوميوم والميم (١) - بالإفصاح الذي لا يفتى عنه الإيهام ... ويمتاز على الفنون التي تصور « الفعل » - كالشعر والقصة - بالتجسيد والتحديد ... أكثر من هذا فالمسرح يمتاز على الفنون جميعاً في تصوير « اللحظات الفنية » التي هي مناط الاهتمام من كل فن . بيان ذلك أننا إذا أردنا - فرضاً - تصوير حقيقة كبرى كالوت - وليسكن موت أحد الفنانين مثلاً - بشقي الطرق الفنية فإن الفنون المسكانية - أي التي تشغل من الوجود مكاناً ما كالنحت - ستمثل اللحظة الفنية في غمضة عينية ... والفنون الزمانية - أي التي تشغل من الدهر زماناً ما كالوسيقى - ستمثل اللحظة الفنية في صوته وهو يتهدج ويخفت قبيل موته .. أو نحو ذلك ... بينما المسرح سيمثل اللحظة الفنية في كل ما بينه وبين الحياة من صلة : فشهد يظهر شعور تلاميذه وعارفيه بالألم ... ومشهد يظهر احتفال الناس بآثاره ... ومشهد يظهر ما ألم به من ظلم في حياته . ومشهد يظهر ما صار إليه من مجد . وهكذا ، يمثل هذه الزايات التي لا تتوفر لفن آخر استأثر التصوير المسرحي دون غيره أو أكثر من غيره من الفنون بتصوير الطبيعة البشرية والدوافع الإنسانية على مدى المصور . فن تصوير للزغرات العنيفة قديماً إلى تصوير للمثاليات في عهود الرومانتيكية إلى

(١) الباتوميوم والميم من فنون الرومان في العصور القديمة يقومان على التمثيل الراقص بغير كلام إطلاقاً

ومكان معين ، ويجزى الفكرة الواحدة إلى فصول متقطعة . .
ويمتدح التقديم والتأخير في ترتيب حوادثها والتضخيم في تعبيره
عنها لفظاً وحركة . وهذا في مجموع لا يطابق الواقع ولا المعقول بل أنه
يتناقض معهما ! بينما السينا تعرض للناس ألواناً مجهولة لهم وتروّج
عن نفوسهم وتؤثر فيهم بواقعيّتها ومنطقها المعقول . الخ .
والحق أن الأمر — من الناحية الفنية على الأقل —
ليس كذلك^(١) .

فبطء التصوير ميزة للمسرح لأنه بهيء للمشاهد فرصة
الانفعال في كل مشهد بينما السينما لتتابع اللقطات — التي
لا تعدو أن تكون مشاهد — تتابعاً فطيع السرعة لا يتيح حتى
مهلة التأثر .

وأيضاً حصر القصة في زمان معين ومكان معين ميزة
للمسرح . إذ يضطر المؤلف إلى قصرها على أعظم حوادثها دلالة
وإثارة ومغزى وبذلك تكون مركزة وخالصة من الشوائب
فتزداد روعتها .

وكذلك تجزئة الفكرة الواحدة إلى فصول متقطعة ميزة
للمسرح . فن المعلوم أن المسرحية تتطور دائماً في مسطرع
فكري وعاطفي وفني هو « الحبكة » لذلك فإن تجزئتها إلى فصول
تتيح للجمهور شيئاً من الراحة واستعادة النشاط وتتيح للمؤلف
— وهذا هو المهم فنياً — الانتقال من تيار إلى آخر واستئناف
التصوير كما وصل تطور الحوادث وتعقدها إلى ما يسميه القنيون
« الطريق المسدود » بعكس السينما التي تتخطى هذه الطرق
المسدودة بالانتقالات المفاجئة في فقرات آتية لا مجال فيها .

وأما ترتيب الحوادث ترتيباً يفاير الواقع بتقديم بعضها
وتأخير البعض الآخر فميزة من مميزات المسرح الهامة لأنه لا يفاير
الواقع على هذا النحو إلا تنظيم الحوادث التي قد تقع كيفاً اتفق
واقتضالا لها من الفوضى والتباساً لتتميل حداثها منطقياً وتتهيئة
لما يتوخى في العمل الفني من انسجام وتناسق .

وكذا التضخيم في الإلقاء والأداء التمثيلي من مميزات المسرح
التي يعتمد عليها لأن في تضخيم الألفاظ والحركات — في الحدود
الفنية — إجلالاً لما تدل عليه من مدلولات وإظهاراً لللامح
الشخصيات ومواطن الانفعالات . تماماً كما ينفث النحات تمثاله

(١) عرض الأستاذ حسن محمود لهذا الموضوع في مجلة الكاتب
المصري عدد ديسمبر الماضي من ناحية أخرى .

تصوير للواقعية المجردة من الرأى أو العرف الاجتماعي ثم الكشف
عن مكنونات العقل الباطن في العصر الحديث .

ويمثل هذه المزايا كان للتصوير المسرحي دون غيره أو أكثر
من غيره من الفنون فضل احتضان الآراء والنظريات الفلسفية
والنقدية على مدى المصور . وليس أدل على ذلك من أن المسرح
أمسكه حتى في المصور الاستبدادية أن يردد — وحده —
ما يشاء من الآراء بفضل قدرته الباهرة على تصوير ما يشاء من
الأجواء . ولنضرب مثالا واحداً لذلك بمهد الديكتاتورية الرومانية
القديمة فقد استطاع بعض المسرحيين وقتذاك أن يصوروا كثيراً
من الأجواء الحرة الطليقة — نقلاً عن اليونان — بينما تشكلت
سائر الفنون الأخرى قسراً بما يوائم سياسة تلك الديكتاتورية
البيضية .

كذلك انفرد التصوير المسرحي دون غيره أو أكثر من
غيره من الفنون بالتوغل في أعماق النفس البشرية وإظهار دقائقها
التي لا نكاد نصدق بها أحياناً . من ذلك مثلاً « عاطفة
الكرامية » التي يقال إنها تتولد في الحفاء بين الأب وابنه غشياً
مع قانون البقاء . فهذه العاطفة لم يكتشف مجرد احتمال وجودها
إلا منذ بدأ فرويد وأتباعه في القرن الماضي يهتدون إليها . ومع
هذا فالمسرح يصورها منذ مئات السنين ! فبالرغم مما يبدو في
المسرحيات — نقلاً عن مظاهر الحياة — من توقيف الأبناء
لآبائهم وعطف الآباء على أبنائهم (أو ما يسمونه عقدة إلكترا
وعقدة أوديب نسبة إلى تملق الفتاة إلكترا بأبيها القائد أجاممنون
وتملق الملك أوديب بابنتيه أنتيجونا وإسمينا في الأساطير والروايات
الإغريقية) إلا أننا نجد بالاستقراء أن للآباء أوفى نصيب من
السخرية والتحقير في الروايات الهزلية كما نجد أن معظم
الروايات — هزلية وغير هزلية — تدور حول شاب يحب فتاة
ويقوم أبوها أو أبوه بدور (العاذل) أو ما شاكل ذلك . وربما
لا نجد تفسيراً لهذا كله إلا عاطفة الكرامية التي أسلفنا الإشارة
إليها .

ولكن ... قد يقال إن التصوير المسرحي مهما بلغت قيمته
في المصور السالفة ذات الطابع الهادئ فقد أصبح في العصر
الحديث ذي الأساليب الميكانيكية أقل قيمة من بعض الفنون
الأخرى — والسينما على الأخص — لأسباب كثيرة منها :
أنه يصور الحوادث تصويراً بليطياً ، ويحصرها في زمان معين

نقل الأديب

مؤلفه محمد إسماعيل النسايبى

—>>><<<—

٩٦٤ — إنه الله جميل يحب الجمال

في « تيسير الوصول » وقد جمع « الأصول الستة » :

لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر . فقال رجل : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة فقال إن الله جميل يحب الجمال . الكبر بطر الحق (١) وغمص الناس (٢) .

إن رجلاً جليلاً أتى النبي فقال : إني أحب الجمال ، وقد أعطيت

(١) هو أن يتجبر عند الحق فلا يراه حقاً . وقيل هو أن يتكبر عند الحق فلا يقبله .

(٢) غمص الناس أى احقرهم فلم يرم شيئاً .

منه ما ترى حتى ما أحب أن يفوقنى أحد بشراك نمل ، أفن الكبر ذلك يا رسول الله ؟ قال : لا ، ولكن الكبر من بطر الحق ، وغمص الناس .

عن أبي قتادة قال : قلت يا رسول الله ، إن لى جمة أفأرجلها (١) ؟ قال : نعم ، وأكرمها . فكان أبو قتادة ربما دهمها باليوم مرتين من أجل قوله . نعم وأكرمها .

أتى رجل النبي نائراً (٢) الرأس واللحية فأشار إليه كأنه يأمره بإصلاح شعره . ففعل ثم رجع . فقال : أليس هذا خيراً من أن يأتى أحدكم نائر الرأس كأنه شيطان ...

عن أنى الأحوص عن أبيه قال : أتيت النبي وعلى ثوب دون . فقال : ألك مال ؟ قلت : نعم . قال : من أى المال ؟ قلت : من كل

(١) « الترجيل » تصريح الشعر وتنظيفه وتحيته .

(٢) « نائر الرأس » منقشر شعر الرأس قائمه .

ولهذا يجوز أن نشاهد في بعض الروايات سمات بكاد يستحيل وجودها بين البشر (كما في : روميو وجوليت) أو حلول للمشكلات غير معهودة الحدوث في دنيانا (كما في : كريتون The Admirable Brighton) ولكننا ننهي من المشاهدة متأثرين أعظم التأثير سواء بتصوير (شيكسبير) في الرواية الأولى لقوة الحب الطاهر أو بتصوير (بارى J. M. Barrie) في الرواية الثانية لمزاجها الرائع : « الظروف تنير الأحوال Circumstances » Alte Cases

وأياً ما كان الأمر فإن الدفاع عن فن ما لا يستلزم الزرابة على فن آخر . وبكفينا من الفنون جميعاً أن تنهض بما تمارسه في حدود قدرتها على هذه الممارسة . غير أن هذا لا يبرر الأخذ بظواهر الأمور فنغتر بالسينما دون اعتبارات فنية وتجارية العامة وأوساط الناس في نظرهم المتواضعة إلى المسرح العظيم ...

هبة الفتاح البارورى

« للبحث بقية »

من مادة نخمة وكما يصبغ الرسام لوحاته بأصباغ نخمة وهكذا . بل إن هذا لا يعدو أن يكون مقارباً لما تنمله في حياتنا المادية حين نقص نياً نظننه هاماً فننتسك على بعض الألفاظ ونتحرك حركات خاصة بقصد التفهيم والتأثير . المسرح على هذا النحو يعمل ما وسعه على التفهيم والتأثير لذلك يعنى بألبية جلالاً على الحوادث يجعلها ذات وزن .

وقل مثل ذلك عمداً يأخذونه على الفن المسرحى من إيهام أو تخيل أو مبالغة لأن المبرة بمدى إحساسنا بالصورة النهائية التى يصورها لا سيما ونحن نعلم أن ما يجرى فوق المسرح إن هو إلا « تمثيل » بحث وليس وانما . فقد نشاهد في نصف ساعة مشهداً بصور فرونا بأكلها . . . وقد نسمع تهامس ممثلين وبجانها مباشرة نالت لها (يمثل) أنه لا يسمعهما . . إلى غير ذلك دون أن نصدم بمخالفة الواقع أو دون أن نحس من هذه المخالفة بنفور أو شذوذ طالما أننا نعلم أن للمسرح « اصطلاحات » لا تحول دون التأثير النهائى المطلوب .

منكم كما وصفنا شاركنا في أعمالنا . ومن كان عطلا لم يكن اننا
عذر عند الناس في توليتنا إياه ، وكان المنذر في تركنا له وفي خاص
أموالنا ما يسر .

٩٦٨ - أربنا الله قبل معرفتنا بحكمة أرسطاطاليس

قال أرسطو للاسكندر : ليكون ملكك في البلاد بالتودد إلى
أهلها لا كقهر الراعي غنمه بالعصا ، فإنك في طاعة الودة أحسن
بدءاً وعاقبة من طاعة القهر والاستطالة .
لحدث بهذا القول للمأمون فقال : لقد حدث على التودد فأحسن ،
وقد أدبنا الله قبل معرفتنا بحكمة أرسطاطاليس : « ولو كنت فظاً
غليظ القلب لانفضوا من حولك » .

٩٦٩ - قصيدة مبيدة . . .

في « نوح الطيب » :

لما استوزر ياديس صاحب غرناطة اليهودي الشهير ابن نقولة ،
وأعزل داؤه المسلمين قال زاهد البيرة وغرناطة أبو إسحاق الألبيري
قصيدته التونية المشهورة التي منها في إغراء ضحاجة اليهود :
ألا قل لصنهاجة أجمين بدور الزمان وأسد المرين
مقالة ذي مقلة مشفق صحيح النصيحة دنيا ودين
لقد زل سيدكم زلة أقر بها أعين الشامتين
تخير كاتبه كافراً ولو شاء كان من المؤمنين
فمصر اليهود به وانتمروا وسادوا وتاهوا على المسلمين
فثارت إذ ذاك صنهاجة على اليهود ، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة .
وفيهام الوزير المذكور . وعادة أهل الأندلس أن الوزير
هو الكاتب .

إدارة البلديات العامة

تقبل المطامات بإدارة البلديات العامة
(بوسنة قسر الدوارة) لغاية ظهر يوم
٢٥ يناير سنة ١٩٤٨ عن مناقصة طبع
وتوريد مطبوعات للمجالس البلدية
وتطلب الشروط من الإدارة على ورقة
دمغة من فئة الثلاثين ملياً نظير دفع
مبلغ ٢ ج. خلاف مصاريف البريد ٨٧١١

المال قد أعطاني الله . قال : فإذا أتاك الله تعالى مالا فليز أثر نعمته
عليك وكرامته .

٩٦٥ - لما تكلم فوقنا القدر

ابن هاني الأندلسي :

مما دهانا أن حاضرننا أجفاننا والغائب الفكر
وإذا تدبرنا جوارحنا فأكلهن المين والنظر
لو كان للألباب ممتحن ماعدتها السمع والبصر
أي الحياة الذ عيشتها من بعد على أننا بشر ؟
خرست لعمر الله ألسنتنا لما تكلم فوقنا القدر

٩٦٦ - يا أبا صالح امفظرها

في « تاريخ الولاة » للكندي : لما ولي « مصر » أبو صالح
يحيى بن داود من قبل المهدي ، وكان من أشد الناس ساطعاً ،
وأعظمهم هبة - منع من غلق الأبواب بالليل ، ومنع أهل
الحوانيت من غلقها حتى حطوا عليها ثرائج^(١) القصب تمنع الكلاب
منها . ومنع حراس الحمامات أن يجلسوا فيها . وقال : من ضاع له
شيء فعلى أداؤه فكان الرجل يدخل الحمام فيضع ثيابه ويقول :
يا أبا صالح ، احفظها . فكانت الأمور على هذه مدة ولايته .

في « تاريخ الولاة » للكندي : ولي مصر عيسى بن منصور
سنة (٢١٦) : فانتقضت أسفل الأرض كلها عربها وقبطها ،
وأخرجوا المال ، وخالفوا الطاعة ، وكان ذلك لسوء سيرة العمال
فيهم . وقدم المأمون مصر سنة (٢١٧) فسخط على عيسى بن
منصور ، وأمر بحل لوائه ولباسه البياض ، وقال : لم يكن هذا
الحدث العظيم إلا عن فمك وفعل عمالك : حلمت الناس مبالا يطيقون
وكنتموني الخبر حتى تفاقم الأمر واضطرب البلد .

٩٦٧ - إنه لو تعالاهم في أموالنا

رو في أهراصه الناس وأموالهم

في « مواسم الأدب » :

قال : الربيع للنصور : إن لفلان حقاً فإن رأيت إن تبغضيه ،
وتوليه ناحية فقال ياربيع : إن لانصالة حقاً في أموالنا لا في أعراض
« الناس » وأموالهم . إنا لا نولي للحرمة والرمية بل للاستحقاق
والكفاية . ولا تؤثر ذا النسب والقرابة على ذي الدراية . فن كان

(١) الشريحة : باب من قصب يعمل للدكاكين .



الزواج سنة ١٩٤٨

لعل هذه البدعة التي أنا محدثك عنها قد سلف بها الزمن ، ولكني لم أعتد إليها إلا أمس وأنا جالس في ركن من أركان مقي هادي . جميل أحسب أن أصحابه أعدوه لمن ينشد الهدوء ، وإن كان يقصده أكثر من يقصدونه طلباً لهذا الهدوء ولشيء آخر أظنه عندهم أحلى من الهدوء وأمتع ..

جلست وحدي منكدر الخاطر بما ينمكس على ذهني من هذه الوحدة ... ودرت ببصري وفي غيبي شيء من أترالهم ، أدرا السأم عن قلبي ، وأنفض الخواطر السكاكية عن ذهني ، فانقلب إلى البصر محزونا ؟ فما يخلو ركن من رفقة ، وقلما رأيت شاباً إلا ومعه صاحبه أو زوجه ، ولم يكن هناك من يجلس مثلي وحيداً إلا اثنان أو ثلاثة لعلهم كانوا ينتظرون من يؤنس هذه الوحدة ... البهو هادي . على كظته ، خال مما يحدث الضجيج والصخب من أدوات اللامب ، والمقاعد منسقة تنسيقاً جميلاً ، والفندل يجيئون ويذهبون بما يشرب أو يؤكل في خفة وفي هيئة تغري بطلب المزيد ، والضجيج دافئ ضاح ، والوجوه كلها مستبشرة مطمئنة ، وأنغام الموسيقى يصني لها من يصني ويصفق لها من يصفق ويلهو عنها بالحديث العذب من يلهو ، وأنا وحدي على حالي من السأم والغنيق وانكدار الخاطر .

وجاء رفقة من الشباب فتحلقوا حول منصدة غير بعيد مني ، وأخذوا يتحدثون ويضحكون ، وما فيهم فيما أرى من هو دون الثلاثين ولا من يزيد على الأربعين ؛ وكان بينهم فتى يبدو لأول وهلة أنه روح الحلقة ، ففي وجهه وإشاراته وحركاته ما ينطق بخفة روحه ، وفي ضحك رفاقه من كل كلمة يقولها ما يدل على أنه فارسهم الملم . وتشقق الحديث بينهم في غير نظام حتى مال الكلام إلى الزواج فسأل واحد منهم : لم كانوا جميعاً أعزاب ؟ وإلام يظنون على هذه الحال ؟ ورد أحدهم قائلاً في لهجة التحمس : « ينحصر ذلك في أمر واحد هو عندي علة الملل ، فإن بعض أسرنا وبخاصة ما يسمونها الأمر الراقية أو أسفاه قد أخذت ببعض التقاليد الأوربية التي تنبوع من روحنا الشرقية ، فاندفع بناتنا إلى ما يعد

في الغرب من مألوف الأمور ، وما يعد في الشرق مهما خادعنا أنفسنا من التدهور الخلق والفوضى والأباحية ، ولما انطلقت الأوانس من بعض القيود أغراهن ذلك بما سمينه حرية فارتق أكثرهن حتى وقفن على حافة الهاوية وسقط بعضهن قملًا ، وأعرض الشباب أو أقدموا ثم ما لبثوا أن طلقوا ... »

وضاق فارس الحلقة بهذا الجد فقال لصاحبه : « دعنا من هذه الفلسفة : المسألة أن الزواج الآن زواج منفعة أيها العبيط ؛ فأكثر الشباب يطلب الزوجة ومعها الدرجة ، والدرجات أيها العبيط لا يملكها إلا الحزب الحاكم ، وعلى ذلك فهذا يطلب عروساً وفدية إذا كان الوفدي في الحكم ، وآخر يطلبها سمعية إذا كان السعديون هم الحاكمين ، ويحرص غير هذين وهو أمر منهنما أن يأتي بها وفدية الوالد سمعية المم دستورية الحال كتلية الأخ ، وأمر من هؤلاء من يأتي بها إنجليزية فتفني عن الجميع على قاعدة ألمانيا فوق الجميع ، ومن هذا صعب اختيار الزوجة يا عبيط » وضحك الرفاق وقال أحدهم « مثال ذلك أن فلاناً يطلب يد ابنة فلان باشا ولكنه يشترط على أيها الدرجة الثالثة » ... وضحك الفارس وقال : « قل لأبيها أنا أقبل بالرابعة ».

وعاد الفيلسوف يقول : « أف لمن يطلب المال والدرجات الجمال هو كل شيء » وقاطعه الفارس قائلاً « والخلق يا حضرة الفيلسوف » وقال الفيلسوف « والخلق بالضرورة » فقال الفارس يقلد لهجته مهكاً ، يظهر أنك تصنع العروسة على يدك : جمال وخلق ! وأبى ذلك وقد وصفت العصر بما وصفت ؟ »

والتفت الرفاق والتفت إلى فتاة كالزهرة فتحتها الريح : فهي نضرة وفتنة وعطر وسحر وشعر ... وقد وضعت كتابها على المنضدة وأخرجت إبرتها وغرلها وأعملت أناملها ، دون أن تنظر إلى أحد ... وسكن الشبان لحظة كأن على رؤوسهم الطير ثم تخافتوا بينهم ، وقال الفارس فيها يقرب الخمس : « أزواج هذه ولود هبت درجتي ومالي ... بلا قيد ولا شرط » وقال الفيلسوف « أنا نمك ! أرايت كيف يملو الجمال على المال ؟ ولكن ... يا خسارة ! تأتي هكذا وحدها إلى المقي ... من بدري ؟ » وآمن الرفاق بالجمال وقالوا نقبلها ولو كان أبوها طريد الأحزاب كلها « إلا واحداً منهم لم يتكلم قبل أبداً ، كان صهيوني الملامح والظفرة فبرز رأسه مفكراً وقال « كلا لست معكم أو الله إن أقبلها إلا ومعهما الدرجة »

الحقيف

منه التراب :

ماضى شهيد

الأستاذ محي الدين صابر

هكذا دارت حواليه وافتته الحياة
فارتقى في السفح ، في عينيه وحى وصلاه
وعلى النهل قد أنكره حتى الرعا،
هو حلم ظل يستاقط ليللاً في ضحا
ضل في أعماقه ممنا وارتاب هده
وسوست أشواقه من أفق ليس يراه
صاعدات لضمير في دم الغيب مده
دمعت جبهته آه وكم تبكي الجباب
قال ، والذل على عطفه يا مجد إله
هكذا دارت حواليه وافتته الحياة

وتلوى في طريق سارب بين الشعاب
ذاهلاً يذفن في عينيه كوناً من عذاب
مهجة مجروحة الأقدار تاهت في ضباب
نشرت من شعره الريح وجاشت في الثياب
قدماء فوق ناب الصخر موت في شباب
وهو سهوان كما يطرد معنى في كتاب
يتلى صوراً تغبر ما ضيه رطاب
قال في نهمة المجنون يا ذل التراب
ورأى في وهمه الوائب في السفح ، سراب
فتلوى في طريق سارب بين الشعاب

ونهاوى تحت مروح شائخ الجذع عتيد
ظله الرعش رحمان على البيد طريد
شد من لحيته رقب طيفاً من بعيد
من بعيد بين جيبه رماد وحصيد
واستوى يعزف للقمه الحنا من جديد

جعلت عيناه هذا الناي صمت وجليد
ذهب الوحي جيماً من يديه والنشيد
مصه الجذب امتصاصاً فهو بيد فوق بيد
قال في حشيرة الذبوح يا قبر شهيد
ونهاوى تحت مروح شائخ الجذع عتيد

ومشت قافلة تصمد من خلف السنين
في هوائها غناء وعلى الخلف أنين
هي من أين ؟ إلى أين ؟ أظن أم يقين
هي لا تعرف إلا أنها في السائرين
عبت مصرع إنسان على الذكري ، دفين
كبرياء ردها الفكر حطاماً من حنين
فهو رأس يثب الموت عليه وجبين
قال حادها : غريب قد دعانا منذ حين
قدعوه إن في الماضى حياة الخالدين
ومشت قافلة تفرق في جوف السنين

محي الدين صابر

(باريس)

تقديم

يقدم للقارئ العربي

وحى الرسالة

في مجلدين

يطلب من دار الرسالة

ومن المكتبات الشهيرة

ثمان كل منهما ٤٠ قرشاً

عبد البريد

الادب والفن في الكسوع

الأدب والسياسة :

هذا عنوان المحاضرة التي ألقاها الدكتور طه حسين بك في مساء يوم الإثنين بقاعة الليسيه فرنسيه ، وقد بدأ بالتساؤل عن معنى الأدب والسياسة ، فانتهي إلى أن الكلام لا يكون أدباً إلا إذا زيد فيه على تادية الماني المادية الإمتاع الفني الذي يتحقق من المني واللاقط وطريقة الأداء حين يريد الأديب أن يؤثر في النفوس ويشير فيها المواطن المختلفة ، كما انتهى إلى أن السياسة أعم مما يفهم منها حين يراد بها العلاقة بين الحكومة والشعب ، أو بين البرلمان والحكومة وحين يراد بها النزاع بين الأحزاب على الحكم ونظمه ، لأن السياسة تشمل شئون الشعب من حيث علاقات أفرادهم وجماعاته وطبقاته بعضها ببعض كما تشمل علاقة الشعب بالشعوب الأخرى في شتى نواحي الحياة ، أي أنها تشمل الحياة الاجتماعية كلها . وقال الدكتور : إن هذا هو المني الذي أفهمه للسياسة حين أتحدث إليكم في العلاقة بين الأديب والسياسة .

وعلى هذا الوضع نستطيع أن نقين هل يمكن للأديب أن يعيش في عزلة عن المجتمع ؟ إن ذلك لا يمكن لأن الأدب ظاهرة اجتماعية والأديب أداة اجتماعية لا يستطيع أن يعيش بنفسه ولنفسه ، وساق حياة العري مثلاً على العزلة الظاهرية التي تدل على عدم إمكان الانقطاع عن حياة الناس ؛ لأنه لم داره حقاً ، ولكنه أنشأ أدبه في شئون الناس ؛ ينتقد حياتهم ويسفه آراءهم ؛ فاعتزال الأديب غير ممكن ، وما مسألة البرج العاجي غير خداع وأوهام . وقال إنه عرف بعض الأدباء الذين يزعمون أنهم يمتصمون بالبرج العاجي من المصريين وغير المصريين فلم ير أحداً أشد منهم نهالكا على نشر آدابهم وحرصاً على رضا الناس عنهم وخوفاً من سخطهم على إنتاجهم .

فلندع إذن هذه المسألة الوهمية لننظر فيما يضطلع به الأديب ؛ فهو إما أن يكون مترفاً في أدبه يخلص من مشاغل الحياة إلى إمتاع العقل والقلب بغير ربيع ، وهذا في الحقيقة لا يتجنب

مسائل الحياة ، وإنما يمالجها على نحو لا يدرك إلا الخاصة ، أو يكون الترف بالتهلية والتسلية كالذي يقصر الوقت بين الاستلقاء على الفراش والاستغراق في النوم . أو يعمد الأديب إلى جد الحياة فيشارك في التوجيه والتثقيف ويصور الآلام والآمال .

والأديب على كل حال من هذه الأحوال فرد في المجتمع يعمل كما يعمل أفراداه ويتحمل نصيباً من التبعات قل أو أكثر ، حتى أديب التسلية فإنه يعيش على التخفف من هذه التبعات في بعض أوقات الفراغ .

وبعد أن استعرض الدكتور بعض المصور الماضية مبيناً أثر السياسة في الأدب وانشغاله بها ، خلص إلى الوقت الحاضر فقال : إن أدباءنا جميعاً — وأنا منهم — غارقون في السياسة إلى الأذقان ؛ فهم جميعاً يتحدثون في كتبهم وفي الفصول التي تنشرها لهم الصحف والمجلات ، عن شئون الحياة ومشاكل العصر ، ولو لم يفعلوا ذلك لكانوا طفيليين في الحياة . وغاية ما في الأمر أننا نستطيع أن نحدد ما ينفذ وما لا ينفذ ومن الثاني الاشتغال بمصومات الأشخاص وأغراضهم ومطامعهم ، وفي غير ذلك لا يعمل بالأديب أن يتجنب السياسة . ويحدث أن يلقي بعض الناس أو يلقوا غيري من الأدباء فيقولوا : لو تركت السياسة وخلصت للأدب ! وهؤلاء لا يفهمون السياسة ولا الأدب .

نقيب :

رأيت أن الدكتور طه وسع معنى السياسة حتى جعلها تشمل كل شئون الحياة ، وليس هذا هو مدلولها الذي جرى الناس عليه وقد انساق في هذا التوسيع — كما ينحيل إلى — ليدخل السياسة في اختصاص الأديب . ولكن هل هذا الغرض في حاجة إلى التوصل إليه بذلك الزج ؟ إن الأديب يتناول كل شيء في الحياة بطريقته الفنية ، فيكتب الأدب السياسي والأدب الاجتماعي وغيرها ، وليس معنى هذا أن كل شئون الحياة اسمها سياسة ، وإلا فهل تمد القصة التي يكتبها الأديب مثلاً ويدير فكرتها وحوادثها على زوجين لم يسمدا لاختلافهما في العمر اختلافاً كبيراً هل يمد مثل هذا سياسة ؟

أما هل يكتب الأديب في السياسة أو لا يكتب فيها ، فهذه مسألة أخرى ، وإن كان مما لا شك فيه أنه حين يكتب في

وألقى الأستاذ عباس محمود العقاد بحثاً في « موقف الأدب العربي من الآداب الأجنبية في القديم والحديث ». فأوضح معالم الموضوع وبينه بياناً حسناً على اضطاراره إلى الإيجاز فيه . قال إن الأدب العربي تأثر بمخالطة الأمم الأجنبية قديماً كما تأثر بها حديثاً ، غير أن تأثره بها في القديم كان على أكثره — من ناحية الحضارة بلاسيه الأمم في أصول المعيشة وعادات المجتمع ، وأن تأثره بها حديثاً كان — على أكثره — من ناحية الثقافة بالاطلاع على آداب الأمم في لغاتها والتوفر على دراستها .

قال الأستاذ في بيان التأثير القديم : كان اعتزاز العرب بأنهم صادراً لهم عن تعلم اللغات الأجنبية منذ أيام الجاهلية ، فلما جاء الإسلام أضاف الاعتزاز بالعقيدة إلى الاعتزاز باللسان ، لكنهم خالطوا الأمم في حضارتها وإث لم يتكلموا بألسنتها فأثر ذلك في أدبهم وظهر أثره في أوزان القصيدة ومعمانيه ، وفي الإسلام زاد الاتصال فدخل في أغراض الشعر كثير من مظاهر الحضارات التي تجمعت في بلاد الدولة الإسلامية كوصف المهرجانات والمواسم . ثم قال في بيان التأثير الحديث : إن موقف الأدب العربي من الأمم الأجنبية في العصر الحديث هو — على الأغلب — موقفه من الأمم الأوروبية ، وصيغة الثقافة فيه أظهر من الحضارة على وجه التعميم ، ولقد كانت اللغتان الفرنسية والإنجليزية أقرب مسالك الثقافة الأوربية إلى البلاد العربية . واتفق أن كان هذا الاتصال في عهد النهضة العلمية أو عهد التحقيق والنمحيص ، فقرأ أدياء العرب كتب القوم وهي تضيف مزايا التعبير العلمي إلى مزايا التعبير الأدبي في أقلام البلقاء ، فكان من أثر ذلك دقة الأداء وتخصيص اللفظ بمعناه ، وكان من أثره اتساع أفق الكتابة والشعر ، وبخاصة ما كتب أو نظم في تمثيل الجوانب النفسية وتحليل دواعي الحس والمأطفة

وألقى الشيخ عبد القادر المغربي كلمة عن « مجامعنا اللغوية وأوضاعها » تحدث فيها عن المحاولات الأولى في إنشاء هذه المجامع ، فالجمع الأول أنشئ سنة ١٨٩٢ برئاسة السيد توفيق البكري ، والجمع الثاني أنشئ سنة ١٩١٧ برئاسة الشيخ سليم البشري وكان الأستاذ لطفى السيد (باشا) مقرر له ، وقد أنتج هذان الجمعان نتاجاً لم يكده يولد حتى مات ؛ لأسباب منها ما يرجع إلى طبيعة الألفاظ التي وضعت ، ومنها ما يرجع إلى التناقل عن

السياسة فيمتنع ويُسحر بحبال الفن ، لا يبعد عن الأدب ، ولكن أدبه سيامي يختلف عن ألوان أخرى من الآداب .

مؤتمر الجمع اللغوي :

احتفل بجمع فؤاد الأول للغة العربية يوم الإثنين بافتتاح مؤتمره السنوي أي الجلسات التي تنعقد بحضور الأعضاء الأجانب شرقيين وغربيين ، وقد جرى الجمع على أن يحتفل في أولى هذه الجلسات بافتتاح هذا المؤتمر .

افتتح الحفل معالي رئيس الجمع أحمد لطفى السيد باشا ، ثم ألقى معالي وزير المعارف عبد الرزاق السنهوري باشا كلمة لا أحسبني مغالياً إن قلت إنها ثورة لغوية .. فقد أشار إلى ما ذكره في خطاب العام الماضي من أن هناك علامتين لسلامة اللغة ، هما اقتراب لغة الخاصة من لغة العامة ، وابتعاد لغة الحاضر عن لغة الماضي . ثم قال إن لغتنا العربية في الوقت الحاضر قد تطورت تطوراً كبيراً ، لأنها اليوم أقرب إلى لغة العامة وأبعد عن لغة الماضي إلى حد كبير ، فهي إذن لغة سليمة ، وايست اللغة السليمة هي التي نقرأها في كتب القرون الماضية ، فهذه صورة تاريخية من صور تطور اللغة العربية ؛ والذين يقولون إن اللغة العربية قد دخل عليها الفساد وركبتها البدع يعتقدون أن اللغة العربية ليست إلا هذه الألفاظ والمبارات التي جرت بها الألسن في القرون الأولى ودونها الكتب والمعاجم في العصور السالفة . ولكننا نذهب إلى غير رأيهم ، فلا تملك الأموات من هذه اللغة أكثر مما تملك الأحياء .

ووصلت الثورة إلى مداها عند ما قال معاليه : هاأنذا أستعمل لفظ « التطور » وهو أفظ عربي لا إخال أنه يستند إلى نص أو قياس ، ولكنه لفظ أجمع عليه كتاب العربية في عصرنا الحاضر ، فهل يجوز لأحد اليوم أن يخطئ في استعماله ؟ وقد أكون استعملت في كلتي هذه أو في غيرها ألفاظاً قد تكون منضبطة على القاموس أو غير منضبطة ، وقد تكون واردة في المعاجم الأولى أو غير واردة ، فسواء كان هذا أو ذاك فإنها ألفاظ عربية سليمة متى انمقد عليها إجماعنا في العصر الحاضر .

ونوه معاليه بأهمية الإجماع في اللغة وتطورها وحياتها ، ثم نبه على أنه لا يقصد به القوضى التي تأتي من استعمال ألفاظ بعيدة عن أصول اللغة وقواعدها .

أشعر الشعراء :

كانت مجلة الهلال قد نشرت في أكتوبر الماضي استفتاء لقراءها عن الشعراء الخمسة الأول بين العرب الأحياء ، وعنهم هو أجدرهم بلقب الإمارة الآن . وكانت قد عقيبت على ذلك ببيان عدم الحاجة إلى هذه الإمارة ، وتفنيد طريقة استفتاء قراء أكثرهم ليس أهلاً لمثل هذه الأحكام الأدبية .

وقد أحسنت الهلال إذ أعلنت في هذا الشهر نتيجة الاستفتاء خالية من « أمير الشعراء » قاصرة على « الشعراء الخمسة الأول » واصطنعت اللباقة في « دعم » مسألة الإمارة ، إذ ذكرت أن المشتركين في الاستفتاء « قالوا إن آثار كبار شعرائنا تكاد تكون في مستوى واحد من القوة والإبداع ، ويكاد لا يوجد وجه لتقديم بعضهم على البعض الآخر » وهكذا خلست إلى ما عرف عن دار الهلال من الاتزان وإرضاء الجميع . ثم أعلنت « أن الشعراء الخمسة الأول بين شعراء الأقطار العربية هم بالترتيب الذين حازوا أكثر الأصوات : خليل مطران بك . علي الجارم بك . السيد بشارة الخوري . الأستاذ علي محمود طه . الأستاذ أحمد رامى »

وقد جاءت هذه النتيجة -- كما ترى -- وفقاً لما ينتظر من قراء يتوخون أكثر الأسماء شهرة في المحيط العام دون التفات أو دراية بما تستحق من تقديم أو تأخير ... وأنت تعلم -- كما أعلم -- أن نعمة شعراء برججون بعض هؤلاء في الموازين الأدبية . وقد نشرت المجلة تعقيبا على هذا الاستفتاء للدكتور عبد الوهاب عزام بك قال فيه : إن الناقد لا يستطيع أن يوازن بين جماعة من الشعراء « إلا أن يقرأ ديوان كل واحد منها قراءة ناقد مثبت ، ويكون قد عنى بها وقرأها واستقر على رأى فيها على مر الزمان ... وليت شعري من فعل هذا من النقاد ؟ » أقول : إذا كان هذا مستمداً على النقاد ذابالك بالفراء ... ؟ .

ملك الشعراء :

وبما قاله الدكتور عزام بك في ذلك التعقيب : « وإذا نظرنا في تاريخ الآداب الشرقية ، وجدنا ألقاب الإمارة والملك معروفة بين شعراء إيران مثل ملك الشعراء معزى . وقد تلقب بلقب ملك آخرون من شعراء الفرس من بعده . وفي عصرنا هذا يعرف الشاعر الكبير بهار بلقب ملك الشعراء ، وهو أستاذ في جامعة

الطرق المؤدية إلى استمهال تلك الألفاظ واستمهال أنظار الجمهور إليها . وعد الأستاذ المغربي من تلك المحاولات ما كان منه ومن المنفور له أحمد تيمور باشا إذا اتفقا على العمل على استمهال ألفاظ فصيحة بدلا من العامية والدخيلة ، وانتقى تيمور باشا عشرين كلمة من الفصحى ونشرها في المؤيد سنة ١٩٠٨ ونصح الجمهور باستمهالها ، ثم كتب الشيخ المغربي تطبيقاً عليها مقالا في المؤيد بعنوان « تمرين على الكلمات العشرين » .

ثم تحدث الأستاذ عن الجمع العربي بدمشق وجمع فؤاد الأول بمصر وأثرهما في اللغة وما يرجى منهما .

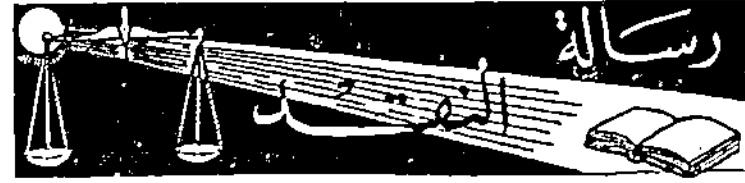
وألقى الأستاذ محمد كرد علي بحثا في « عجائب اللهجات » بين فيه أثر اختلاط العرب بغيرهم وخاصة بعد الإسلام في تعدد اللهجات ، واستمر في بحثه حتى وصل إلى العصر الحاضر فساق أمثلة كثيرة لاختلاف اللهجات في الأمم العربية .

ووقف الأستاذ جيب المستشرق الإنجليزي فاعتذر من عدم حضوره مؤتمر الجمع في السنتين الماضيتين لانشغاله مع زملائه أساتذة الثقافة الشرقية في الجامعات الإنجليزية بتنظيم الدراسات الشرقية وقال إنهم ألغوا جمعية خاصة بهم في السنة الماضية .

أعمال الجمع :

وقد ألقى الدكتور منصور فهمى باشا كتاب سر الجمع كلمة في « أعمال الجمع خلال الدورة الماضية » وأرهمت الأذان لتلقى أنباء هذه الأعمال فإذا هي تلخص في إلقاء بحوث في الجلسات من بعض الأعضاء ، وفي النظر في بعض المصطلحات العلمية وتقرير تعريفها ، والنظر في منهاج العمل بالمعجم الوسيط والمعجم الكبير ، وفي مواصلة اللجان أعمالها ، فليجئة الأدب أنجزت مسابقة الإنتاج الأدبي في العام الماضي وتعمل في مسابقة العام الحالي ، ولجنة الأصول أمامها مقترحات في تيسير الكتابة العربية لا تزال تبحثها .

وكل تلك الأعمال عدا المسابقة الأدبية لم تظهر لأعين الناس بعد ، ولم يزل الجمع يتحدث عنها منذ سنتين كما يتحدث عنها الآن حتى المجلة التي قالوا منذ أكثر من عام إنها على وشك الظهور لا تزال على الخفاء . وقد فأننى أن أذكر من أعمال الجمع أنه قرر نشر المجلة مرتين في السنة



أدب الملميم المزيف

للأستاذ حبيب الزحلاوي

إلى صديقي الكريم الأستاذ صديق شيبوب :
يمسر على الكتاب في النقد الأدبي ما يسهل على الكاتب
المنشئ في كتم خليفته واستمرارية نفسه ، لأن النقد بيان وتفصيل ،
ولاشك محيد للنقاد عن التجرد الذاتي لينطلق حراً ، يقول الحق
وبصور الحقيقة .

طهران ، وأما في تاريخ الأدب العربي فلم تمهد هذه الألقاب ...
وبعد فإن لم يكن يد من بيعة أحد الشعراء المعاصرين بالإمارة
أو الملك فأبسر وسيلة لذلك أن يجتمع الشعراء وحدهم ويختاروا
لأنفسهم ملكاً أو أميراً عليهم . فإن فعلوا فليس بعد رأيهم مقال
لقائل . وأنا لا أرى أن هذه وسيلة يسيرة فضلاً عن أن تكون
أبسر وسيلة ، فن يضمن لنا أن كلا من شعرائنا سينتخب غيره
وأن سيكون لهذا الانتخاب نتيجة سوى أن يكون عدد الفائزين
مساوياً لعدد الشعراء ... وخاصة إذا كان المطلوب صاحب جلالة
في الشعر لا أميراً فحسب .

ولم كل هذا وعندنا « ملك الشعراء » الدكتور زكي مبارك
وقد كفى سائر الشعراء مشاق الاجتماع والنزاع والاختيار ،
فأعلن نفسه ملكاً عليهم ، ولم يله كان قد انتظر أن يشعروا
بأحقية لهذا المنصب الخطير ، فلما رأهم مشغولين كل بنفسه ،
وجد من حق نفسه هو أيضاً أن يتقدم إلى مكانه .

والدكتور زكي مبارك أو ملك الشعراء ، يفوق الشعراء
جميعاً بالحريّة التامة في التعبير عما يريد ، فشعره صورة صادقة
لنفسه ، ليس فيها مداواة ولا تزوير . وهو رجل سليم الطوية
لا يخشى - إذا ملك - أن يجور ، وفيه يجور ؟ !

« العباس »

النقاد التجرد تمام واش ، يشي بنفسه على نفسه ،
ويعترف بما في قرارها من أسرار ، ويشر ما تنطوي عليه
صلوبه من سجايا وخلائق ومن كوامن دفينة أيضاً ، لأن
طبيعة التجرد توجب ذلك ، ولأن التجرد والانطلاق
سفتان بعيدتان كل البعد عن خلال الواربة والمحتل
والداورة والنفق التي تعمس كل المعسر على الكاتب في النقد الأدبي .
قرأت ما كتب النقاد في كتابي « أناث غريب » وأسخط
بسمي إلى مساقه البعض إلى من لوم وتخرج من ناحية ، وثناء
وإطراء ومغالة في التقدير من البعض الآخر من ناحية ثانية ،
فلم أفت طويلاً عند واحد من أولئك السرفين في اللوم أو
الإطراء . ولكني أشعر الآن بمسألة فتمني إلى الوقوف طويلاً
- وجهاً لوجه - من صديقي الكريم الأستاذ صديق شيبوب ،
الكاتب الهادئ ، النفس ، النكر لذاته ، القانع بالقليل القليل
من الشهرة وذبوع الصيت ، الدؤوب على المطامة والدروس
والتنقيب والتنقيب ، الثابر على نشر فصل في « الحياة الأدبية »
مرة واحدة في كل أسبوع ، في صحيفة يمد أرباحها المال ،
ويروجون للمضاربة في أسواق المال ، وقد لا يقرأها أدب واحد
غير يوم الجمعة ، لأنه ليس في الأدباء ممن أعرف غير مهودي واحد
وجزوتي واحد يضاربان ليكتبها المال في سهولة الكسول
ومغامرة المقامر المضارب . في هذه الصحيفة المالية يختبئ
صديق الكريم وراء حرفين متواضعين من حروف الهجاء
« صاد شين » فبينما نراه في فصل من فصوله الأسبوعية
يدرس كتاباً في تاريخ قدماء المصريين أو الرومان واليونان ،
نجد في بوادي الجاهلية وصحاري الإسلام يقارن وبوازن ،
وينسق ويمادل هؤلاء بأولئك . وبينما نسمعه يروي أسطورة أو
خرافة ، نراه ينشر قصة تصويرية لواقعة حال ، أو بحثاً تخليقياً
لأديب جرى عليه النسيان ، أو يلخص كتاباً في الأدب الفرنسي
أو رواية عصرية ، وهو بين هذا وذاك يكتب فصولاً بارعة في
دراسة الكتب التي تهدي إليه ، فيقرظها تقرظ المشجع أو
المجند ، تقرظ الأديب الفيور الذي يدفع بالؤلف إلى الاستزادة
والإجادة ، ولكني ما قرأت في فصول صديقي الأستاذ صديق
سوى بعض فصول في النقد كان يخص بها الأصدقاء والمعارف
من المؤلفين . وأمل أنصف صديق شيبوب إذا قلت إن فصوله

في النقد الأدبي هي المتفوقة في قيمتها والمتقدمة في شأنها على بقية فصول يكتتبها « في الحياة الأدبية » .

على هذا الأساس إذن أقف من صديق الناقد البارع أساجله مساجلة الراغب في بلوغ الحق ، المقاصد وجه الحقيقة : قال الأستاذ شيبوب في المدد السابق من الرسالة :

« ... ولا يفت أدب الأستاذ حبيب الزحلاوي عند التأليف القصصى ، فإنه نقادة أدبى ، ولعل النقد الأدبى كان أول ما عالجته من فنون الأدب ، إذ تقدم كتابه « أدباء معاصرون » غيره من الكتب . وقد ظهر ميله إلى النقد في أقصوصة « الدميم » لأنه عرض فيها للحبكة ، والعرض والفكرة ، والوحدة ؛ وذكر أنه « ليست قيمة القصة في السادة التي تتألف منها ، ولا في كيفية ترتيب تلك المادة ، بل قيمتها في الكيفية التي تؤدي بها ، وفي عرضها عرضاً خاصاً بمهارة فنية ، بالتشويق والترغيب ، وفي صدق الرواية عن الحياة ... » .

« وقد اضطر لبيان ذلك ، إلى حشر أقصوصتين في أقصوصة واحدة ، وهما لا رابط بينهما غير فكرة العرض بمهارة وبغير مهارة » .

يعلم صديقي ولا شك أن مجال القصة واسع سمة الفضاء الذي يضم الكون ، وأن القاص إذا قصر في تجواله بأجوائه ، إنما يكون تقصيره نتيجة لضعف في خوافيه وقوادمه ، وفقر إلى الخيال المنسرح والذهن المبتدع . وأن المجالات الضيقة التي رسمها نقاد القصة ليست في الضيق إلى الحد الذي يصد المبتكر عن شرح درس في بناء القصة وتعليم من لا يعلمون أنها تسع كل ضرب من ضروب العلوم والفنون ، وكل رسم وصورة للحياة بكامل ظواهرها وبواطنها فكيف تضيق القصة إذن بالنقد الأدبى ؟ .

أقول القاص المبتكر تميزاً له عن أرائك « الهلافت » الذين يملأون الصحف « السوقية » بقصص فاجرة يضل القارىء في مبتدأها ومنتهائها ، وبتيه قاص الأثر البارع في تتبع معالم وأغراض كتابتها ، هذا إذا كانت لهم أغراض ومقاصد . ثم أى حرج على القاص وقد جعل بطل قصته مملأً حكماً يعلم تلامذته

الأصول والقواعد ، ويهديهم سواء السبيل ؟ أبواب عليه إبراز مثل ناطق يشهد على العشرات من القصصيين الذين يرتجلون القصة ارتجالاً ولا غاية لهم سوى إثارة الغرائز وإلهاب الشهوات ! كيف ، بل لم تؤاخذنى يا صديقي على بيان « يميز بين قصة معروضة بمهارة ، وقصة لا مهارة في عرضها ؟ ! » .

على هذا الأساس كتبت قصتي « الدميم » وبهذا الرباط ربطت بين القصتين ، قصة مرتجلة لا ضوابط لها ولا قواعد ، مرماها إثارة الشهوات الجنسية ، وقصة تتفاعل فيها عوامل الحياة الزاخرة بالصدق ، وهي معلومة الحدود والعالم ، واضحة الطريقة والمذهب والفرض والأسلوب ، أيجوز لك يا صديقي ، بعد هذا أن تقول إن القصة مفتعلة لبيان فضل الأقصوصة الثانية على الأقصوصة الأولى ؟ ؟ .

لا أحسب أن هذا التجنى من صديقي الكريم جاء عفواً ، بل اعتقد أنه كان وسيلة لغاية ، لأن المقال الذى تفضل بكتابته عنى ، إنما كتب بروح من النقد ، والناقد كما علمنا نمام واش يشى على نفسه بنفسه : قال الأستاذ شيبوب :

« تناول الأستاذ حبيب الزحلاوي النقد الأدبى في شيء من الجراءة ، وكثير من العنف ، مما جعل له خصومات أدبية قديمة وحديثة كانت إحداها مع أديب له مقامه المرموق في عالم البحث والأدب والشعر ، والتجديد الذى يحارله هذا الأديب الفاضل لا يروق الأستاذ الزحلاوي ، وهو حر في رأيه . وكنت أعتقد أن هذه الخصومة تقف عند حد النقد الأدبى ولا تمتداه إلى التعريض في إحدى القصص بذلك الأديب . والحق أنى كنت أجل صديقي الأستاذ الزحلاوي عن أن يستعمل مثل هذه الوسيلة لينال من أديب نابه لا يرضى هو عن أدبه » .

هنا مربط الفرس كما يقولون ، هنا يتجرد الناقد الذاتى المنطلق حراً في القول والتصوير ، هنا تظهر وشاية النفس بالنفس ، هنا تبدو الكوامن وتطفو مخبآت السرائر ، وهنا أقف من صديقي الناقد وجهاً لوجه أسأله ، من هو ذلك الأديب صاحب المقام المرموق في البحث والأدب والشعر والتجديد ؟ ما قيمة أدبه

نفسى ، يا ظلمة أصبحت منبت مصير غير مصيرى الوهاج .
ها هي ذى قطعة كتبها الأديب الرموق الذى تطوع للدفاع
عنه صديق الأستاذ صديق شيبوب أقدمها له راجياً منه أن يتفضل
علينا بترجمتها إلى اللغة العربية التى يفهمها أمثالى من عباد الله
التواضعين .

ليسمح لى صديق الأستاذ شيبوب أن أذهب معه فى التسامح
كل مذهب فى الافتراض الجدلى فأساله هل إذا استطاع
تذليل الصعاب ، وحل الطلسم ، وفك الرموز ، هل فى مقدوره
أن يرسم لنا صورة واضحة لمعانى هذا الكلام الذى قاله صديقه
الشاعر الرموق ؟ هب أن المعانى كانت سامية حقاً ، ولكن ماهى
قيمة المعانى إذا صيغت صياغة متشابكة متنافرة متنافرة ؟ لنفرض
جدلاً أن الكلمات هذه القطعة الفنية بمفردها وبمجموعها معان
طبيعية ودلالات إنسانية ولكن ما هو أثرها الفعال فى النفس ،
هل هزتها وأسرت الرعدة فيها ، وهل علق معنى واحد فى ذهن
قارئها ؟ لنفرض جدلاً أنه قدم المتأخر من الكلمات وآخر
التقدم ووضمها فى وضهما الصحيح وأقجمها على الذهن إقجاماً
وحشراً فيه حشراً فما هو قيمة هذا الأدب وما هو قدر هذا
الكاتب ؟ ولم هذا العناء المعضى ؟

أردت يا صديق خصومة بين الأدباء لا عداوة ، ورفعت لواء
هذه الخصومة عالياً فى كتابى « أدباء معاصرون » وما برح علمى
بمحقق فوق ساريتته ليراه كل كاتب أو شاعر طمل بفانك بالكذب
والشر على الأدب والفن فيسمى المهرج تجديداً واللاؤنة حصافة ،
وأعيزك يا صديق أن تكون طبيباً فى مصحة الأمراض العقلية .
تستوى عندى خصومة وعداوة من يعتدى على كرامة الأدب
أو يحاول إلحاق الدنس الأدبى بهضتنا التى لم يعرف تاريخ الأدب
العربى لها ضرباً فى كل عصوره .

وليعلم صديق الكريم الأستاذ صديق شيبوب أن أدب
صديقه الشاعر الرموق لا يساوى فى سوق الناقدين المتجردين
غير التحيزين ملياً زيفه مراب خسيس .

هيبب الزهرورى

وشعره وتجديده ، وكيف صبح صديق الأستاذ شيبوب السكوت
عن الإشادة بهذه الفضائل المظورة تحت الأطلال والمقافة فى
الدمن ؟ هل استحق صديق الناقد من ذكر اسم ذلك الأديب
الشاعر الرموق ؟ أيرضى صديق الناقد أن أشق على صاحبه فلا أذكر
اسمه بل أرمز إليه بالإشارة ؟ أليس ذلك الأديب الرموق هو
الذى مات غثثاً عند وصيد باب مجلة « المقتطف » ولم يرثه زجال
مأجور ؟ أليس هو الذى أضنانى شعره فرصدت مبلغاً من المال
أغررى به أصحاب العقول السليمة على شرح شعره المعضى فلم يظفر
بملى أحد ؟

قد يموذك الدليل يا صديق تدحض به ما رميت به أدبيك
الرموق ، أما أنا فلا أعدم الحجة أستمدعها من شاعرك المجدد
لأزيد الطين بلة .

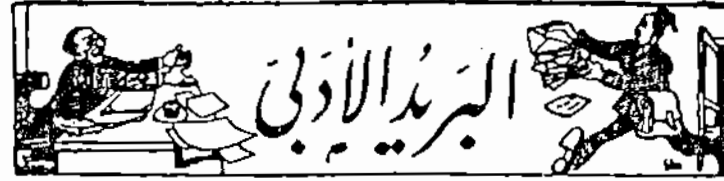
نشر الشاعر المجدد قطعة عنوانها « نهار وايل » قال فيها :
« بوى لو أنهض والنهار باسم ، فألح إلى عجائب فأستمل ،
ولكنى أخو المعجز ، لا أزال ظلاً للنماس المتشاب »

« ذات مساء إلى وليجة نفسى تحذرت — بدوة من
بدوات — هل أردت تصفح البستان لا تمر فيه ولا زهر ؟
تحذرت وما استطعت الصعود ، لوجهى سرعنى هول ما دريت
ما يكون .

« الحب وحده كان يقوى أن يسمفنى فأصمد ، لكنته جاء
من بعد ، من عل ، من مفئيب البُعد ، أقبل عاجلاً مترعاً بالعود
فيضى ، غير مستحق ، شد ما فتننى فذوبته فى خاطرى ، وفى
الخاطر ظللنا روحاً لصق روح ، كلانا جاثم مخفق .

« هل كان فى وسمى أن أدرك قبل أن أغفو وأذهب فى
الغفوة — يا له من سهات لطيف فى ضميره خصب ونشاط —
هل كان فى وسمى أن أحلم باليقظة الناعمة ، بالأعجوبة يمانتها
النور ؟

« فى البدء داخل الليل نهارى وأسرف ، ففلظت العتمة بمر
ولكنى أصررت على التبصر ، أحر ، والآن الآن أذكر كيف
لفت العتمة خاطرى ، يا لله يا ظلمة تجرى الخذاق فى وليجة



١ - أنطون الجليل باشا :

رزت الصحافة العربية هذا الأسبوع في دكن من أركانها، وخسر الأدب علماً من أعلامه، وهو المقهور له الأستاذ أنطون الجليل باشا، فكانت الفجائية بفقدته قاسية ألحيت على أبناء المروية عامة، وعلى رجال الصحافة والأدب خاصة.

ولقد زاد في هول الفجائية به رحمه الله أن قضى بموت الفجاءة وهو في ميدان العمل يناضل ويجهاد في أداء واجبه، حتى لقد خرجت «الأهرام» إلى أيدي قرائها وفيها آثار قلمه وتوجيهه، ولكنها لم تدرك نبيه، لأنه كان قد أتم عمله فيها، وانصرف إلى داره متمتماً بالمعافاة التامة، وفي الصباح الباكر ليوم الثلاثاء الماضي وافته المنية ولم يشعر بأثر من مقدماتها إلا بضيق خفيف في التنفس، ثم كان السكون الأبدي، وهكذا نفى الرجل يده من الحياة في رفق وسهولة وهدوء، وقد كانت هذه هي أظهر خلاله في الحياة ودستوره في العمل وفي صلته بالناس.

لقد أمضى أنطون باشا في الحياة نيقاً وستين عاماً، أو قل على التحديد ثلاثة وستين عاماً، ولكنه لم يأخذ من هذا العمر أطواراً له من شخصيته شيئاً يذكر إلى جانب ما بذل في سبيل المصلحة العامة، وأتقى للتخير والإنسانية، وضجى لخدمة الشرق العربي والوطن العربي جميعه، وإنه ليخرج من الدنيا وليس من ورائه زوج تئدبه أو ولد يبكيه، ولكنه لاشك قد ترك من ورائه مئات من الإخوان والتلاميذ الذين أضفى عليهم من روحه وطبعمهم بطابعه، وألوف بل ملايين من أبناء المروية عاش ينشد لهم المجد والسعادة على مدى الأيام، فهو في نفوسهم ذكرى باقية وأثر خالد على كثر السنين والأعوام.

وفد أنطون باشا وهو شاب في ريعان العمر من لبنان على مصر، ولقد خرج من وطنه الأول تبرماً بالجيروت السياسية الذي كان مسلطاً على الأحرار في تلك البلاد، وجاء إلى مصر وطنه الثاني لعله يتنعم نسيم الحرية، ويجد مجالاً فيسبحاً لطلوعه،

وكان أديباً موهوباً، فحمل القلم ونزل إلى الميدان، فأصدر مجلة «الزهرة» لتكون حلقة اتصال بين أدباء المروية في جميع الأقطار الأمصار، وسامى لإجولة حتى برز إلى الطليعة، وظهر في الرعيل الأول وظل يصدر مجلته أربع سنوات، ثم كان أن قامت الحرب العالمية الأولى، وكان من قيودها ما جعله على وقف إصدار المجلة والدخول في خدمة الحكومة، ولقد صمد في هذا المجال درجات، وتبوأ مكانة مرموقة، ولسكن هذا لم يلقه على طبعه، إذ أثر اعتزال الخدمة والعودة إلى ميدان الأدب والصحافة، وكان أن تولى رئاسة تحرير «الأهرام»، وأسهم بجهده وقلمه في تشييد ذلك الصرح العظيم، وكان إلى جانب ذلك أن اختير عضواً في الشيوخ، ثم عضواً في مجمع فؤاد الأول للغة العربية، كما هو معروف في الفترة الأخيرة من حياته.

لقد كان أنطون باشا صحفياً عفا القلم نسيه التعبير، رعى آداب اللباقة دائماً فيها يكتب، ويعرف كيف يسيطر على أعصابه في الموقف الحرج، وكان هذا سر عظمته الصحفية، قال لي في مرة: حكم أخلاقك دائماً فيما تكتبه عن الناس، واسأل نفسك وأنت تكتب عن غيرك، هل تحتمل أن يقال عنك هذا الذي تقول عن غيرك وحذار من طغيان القلم وأنت في خلوتك بل تمثل أن أمامك من تكتب عنه وأنت تقرأ عليه ما تكتب.

وكان رحمه الله أديباً يمنح الأدب قلبه وعاطفته، وكان في بيانه يؤثر الأسلوب الأنيق، والتعبير المشرق، والديباجة الموسيقية، وكان راوية، يحفظ كثيراً من الشعر القديم، كما كان يحفظ جيم شعر الشعراء المحدثين، أمثال شوقي وحافظ ومطران واستماعيل صبرى وولى الدين يكن، وكان لا يطرب لشيء مثل ما يطرب لسباع الشعر الجيد، وكان لا يسر بشيء مثل ما يسر بشاب أديب يظهر في أدبه غايل النجابة والنبوغ، فيتعده كأن ولدته. قابلته رحمه الله قبل وفاته بيوم واحد، وهو منصرف من احتفال المجمع اللغوى، فسأنته لماذا لم يتكلم في الحفل؟ فقال وكأنا كان ينبغي نفسه: وماذا تريد أن أقول، وقد أنهكتنا الأيام ومتاعب الحياة؟ لقد قلنا كثيراً فقولوا أنتم، فوالله إنه ليس أطيب إلى نفوسنا من أن نراكم تقولون...

وبعد، فليس اليوم مجال القول في شخصية ذلك الرجل

الزعيم مصطفى كامل من مدرسة الحقوق فاضطر إلى السفر لإتمام دراسته في فرنسا ، وحدث في عام ١٨٩٦ أن اجتمع فريق من طلاب الماسد المالية والثانوية في مطعم بالأزبكية واحتفلوا بعيد جلوس الخويوي عباس الثاني . وصادف أن دخل « نستو » ليتناول المشاء فنقل أسياءهم إلى دنلوب ففصلهم جميعاً من مدارسهم .

ثم تولى « أدوار لامبير » نظارة مدرسة الحقوق وكان رجلاً يعرف للعالم كرامته ويرتفع به عن تلك الأساليب الفاشية ، فكان من الطبيعي أن تتسع الشقة بينه وبين « دنلوب » ، وكان من الطبيعي أن يتصدى « دنلوب » لهذا الرجل لا يجاريه في إذلال المصريين ومسح روحهم وتشويه ثقافتهم ، ولكن « لامبير » لم يخضع ولم يبطأ رأسه وظل دائماً عند عقيدته وأتجاهه ، فلما أعياه الأمر استقال ونهى بمنصبه وضيع نظارة مدرسة الحقوق المصرية على فرنسا ، إذ تولاه من بعده رجل إنجليزي يدعى « هيل » ، وكان رجلاً لا يدري من الحقوق شيئاً ، ولكن السياسة الإنجليزية شامت ذلك في تلك الأيام . إنها ذكريات تحتل جانباً من تاريخنا الوطني ، وهو جانب يجب أن يكتب ويروي ، ولعل نعي الأستاذ لامبير قد أثار ألواناً من هذه الذكريات في نفوس أبناء الجيل السابق ممن كانوا من تلاميذه ومريديه ..

محمد فهمي عبد اللطيف

المظيم ، ولكنها كلمة يجري بها القلم من خلال الدمع ، قال فرصة أخرى حتى تؤدي واجب الوفاء نحو قعيد الوفاء ، نصر الله قبره ، وأكرم مثواه ...

٢- ادوار لامبير :

نعت الأبناء البرقية في هذا الأسبوع العالم الفرنسي الأستاذ ادوار لامبير ، وإن في مصر لكثيراً من رجال القانون وأعلام السياسة لا يزالون يحملون بين جوانحهم أطيب الذكرى لذلك الرجل الذي كان أستاذاً لهم والذي وقف في وجه الطاغية « دنلوب » منتعراً للعالم والكرامة حتى لقد ضحى بمنصبه في هذا السيل ، وضيع على دولته فرنسا مركزاً علمياً كانت تستأثر به في مصر .

ذلك أن مدرسة الحقوق في مصر كان يتولى نظارتها عالم من أبناء فرنسا ، وكانت فرنسا تعتر بهذا المركز وتمتبره مظهر شرف لها إلى جانب ما كان قائماً من تسلط الإنجليز على التعليم في مصر ، وحدث أن أسندت نظارة هذه المدرسة إلى رجل فرنسي يدعى « نستو » ، وكان هذا الرجل يترع إلى حب السيطرة والتغلب ، وكان المسيطر على شئون التعليم في مصر يومذاك الطاغية « دنلوب » ، ونزعته الاستعمارية معروفة مشهورة ، فتلاقى الرجلان في اتجاه واحد ، وكان كل منهما أداة طينيان وبهتان . ومما يذكر أن « نستو » هذا هو الذي فصل

محمد ونخفيف

يقدم كتابه الجديد

من راء المنظار

عنور انتفاذية فكهم من جئنا الاجتماعية

يطاب من دار الرسالة ومن المكتبات الشهيرة

ومنه ٢٠ قرشا عدا البريد

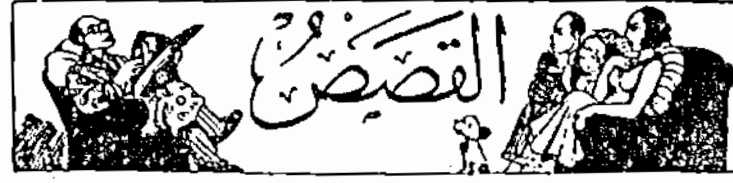
خبيث الزخاوي

يقدم مجموعة من روائع القصص

انا غير ريب

تطلب من مكتبة التوزيع ٥٣ شارع إبراهيم باشا

— لا نبيء يا شقيقتي ... أ كنت تنظرين إلى
شعري الأبيض ؟
ولكن مدام روبير قبضت على ذراعها بشدة وكررت
عليها السؤال :



إنه ضوء القمر

المأثب الفرنسي جى رى موباسار

بقلم الأستاذ جمال الدين الحجازى

أخبريني ماذا حصل لك ... أخبريني بالحقيقة وإياك والكذب :
ومكثنا برهة ننظر إحداهما إلى الأخرى وقد امتنع وجه هنرييت
وكانت دمعتان تبللان وجنتيها فسألنها أختها بلطف :
الا تودين إخبارى بما ألم بك ؟
وفى صوت خافت قالت بعد أن أخفت جبهتها بين ذراعى
شقيقتها :

لى ... لى حبيب !

وهناك على الكتبة جلست الأختان فى أحد أركان الغرفة
تتحدثان وقد وضعت الأخت الصغرى ذراعها على عنق أختها
الكبرى بدلال وأخذت تنصت إلى حديثها :

إنك تعرفين زوجى وتعرفين كم أحبه ! فهو رقيق الشعور ،
طيب ، باسم الشعر ، لطيف ومستقيم إلا أن به عيباً واحداً وهو
أنه لا يستطيع أن يطرى محاسن المرأة ! ولست أدري لماذا ؟
آه كم كنت أتمنى أن يضمنى بين ذراعيه بشدة ، ويقبلنى قبلات
حارة تخرج بها أنفاسنا ! وكم تمنيت أن يكون ضعيفاً بين يدي
فيحتاج إلى رقتى وعطفي ودعوى ! قد يظهر أن ما قلته لك تافه
ولكننا نحن النساء جيلنا على هذا العمل ! ومع ذلك لم أفكر
لحظة فى خيائته حتى على شاطئ البحر !

هناك على شاطئ البحر ، كان القمر يرسل أشعته الفضية
على السكون فيملأ بهجة وجوراً ! وشمرت حينئذ بشيء لست
أعرف كيف أفسره ! فى الشهر الذى قضيناه نقتزه فى سويسرا
ونتمتع أنفسنا بجمال تلك البلاد ، أثار زوجى إحساساتى بهدوئه
وصمته وتركنى وحدى سابعة أهم فى الحسن والجمال ! ألا تثير
الجمال النفوس ويبعث فيها الحب ! ألا تثير ممرات الجبال الضيقة
والأودية العميقة والغابات الواسعة والجداول الرقاقة والقرى
الصغيرة الجميلة كل حب للجمال !

أجل لقد سحرتنى هذه المناظر بجمالها فقلت لزوجى وقد
ارتعيت بين أحضانها : ما أجل هذه المناظر يا حبيبى ... انظر

كانت مدام جولى روبير تنتظر أختها مدام هنرييت ليتورالتي
عادت من سويسرا منذ خمسة أسابيع ، بعد أن سمحت لزوجها
بالبقاء وحده فى كالغادوس لإنجاز بعض الأعمال التى تتطلب
وجوده ، وأتت لتقضى بعض أيام مع أختها فى باريس للترويح
عن أنفسهما . وفى المألون الهادى ، جلست مدام روبير تقرأ وهى
شاردة الذهن ، ترفع عينها بين وقت وآخر كلما سمعت صوتاً .
وأخيراً سمعت دقاً على الباب ، فظهرت أختها حالاً وكانت تلبس
معطف السفر . وبجاء وقبل التحية تعانقتا بشدة . ثم بدأ الحديث
عن الصحة والعائلة وأشياء أخرى يجيدها النساء ...

كان الوقت مساء ، فأضاءت مدام روبير المصباح ، ولما
رأت وجه أختها رغبت فى عناقها مرة ثانية ، فاقتربت منها ، واشد
ما كانت دهشتها عندما رأت صغيرتى أختها الطويلتين قد ابيضتا ،
بينما كان القسم الآخر من شعرها أسود لامعاً وظهر شعرها الأبيض
كالفضة نحوه هالة من السواد .

كانت مدام هنرييت شابة لم تتجاوز الرابعة والعشرين من
عمرها ، فما هو السر فى ابيضاض شعرها ! إنها لم تره هكذا
إلا بعد عودة أختها من سويسرا .

نظرت مدام روبير إلى أختها بدهشة والدمع يترقرق فى
مآقيها لأنها اعتقدت بأن حادثاً مخيفاً ألم بأختها فسألها
بانسامة حزينة :

— ماذا حصل لك يا هنرييت ؟

والبحيرة وضوء القمر تغنى وتصبح مدع هذه المناظر الجميلة الساحرة

وفي الصباح بينما أنا غارقة في هذه النشوة تركني هذا الحبيب واختفى بعد أن قدم إلى بطاقته اوهنا تاوهت مدام ليتور وكادت تصيح ...

فقلت مدام روبر وقد مرها ما سمعت :

« اتعلمي يا شقيقتي العزيزة أننا لا نحب الرجل دائماً ولا نستطيع أن يثير أشواقنا ؛ فلا غرو أن حبيبك الحقيقي وأنيسك الذي سحرك بحلو ألفاظه ورقة ثمائه وأثارك وبمت فيك الحب والفرام في تلك اللية وأثار لك السبيل هو ضوء القمر .. أجل أنه ضوء القمر ! »

بجمال الربيع المحبزي

وزارة الدفاع الوطني

تقبل المطامات افاية ظهر يوم ٣٠
١٩٤٨/١ عن توريد مبادر وأجنات
حديد وقلم اجنة وزاوية براد وبروار منشار
وبورى لحام وزيت ٣٠م وشحم ابيض
ومانومترا وخرطوم اكسجين واستيلين
وحجر جليخ وصندوق قلاووظ كامل
وجنازير وفحم حجرى وخوصة حديد
وصلب ياي خوصة والواح صاج اسود
والواح نحاس أصفر .

والشروط بإدارة المشتريات والمعقود

ونحن النسخة منها ٢٥٠ ملية

٨٧٤٨

إلى القمر المنير والبحيرة الجميلة ... ألا تدعو هذه المناظر الساحرة المحيين لا قبل ! اقبلنى الآن وفي هذا المكان قبله حارة وامزج أنفاسك بقلبي المذاب ! ولكنه أجابني بابتسامة لطيفة باهتة :

« لا يوجد سبب يدعو إلى القبل » فتأثرت جداً من كلماته . غاظني زوجي بمسلكه هذا ، فقد منع تلك الخيالات الشعرية والسبحات الفكرية من أن تخرج إلى دنيا الجلال وأبقاها مكنونة في نفسي عديمة الجدوى .

وفي إحدى الأمسيات ذهب روبر إلى فراشه بعد العشاء ، وكان قد أصابه صداع ؛ فذهبت في نزهة على البحيرة . وهل لي غير البحيرة وشاطئها الجميل ؟

كانت اللية مقمرة كذلك الليالي التي نقرأ عنها في أساطير الخيال ؛ وكان القمر زهر باكتماله في كبد السماء ، ويحى الأرض بأنواره الفضية ، فيكسبها جمالا وبهاء . وظهرت الجبال النائية بثلوجها البيضاء كلوك تلبس تيجانا فضية ، ولمت مياه البحيرة لمعانا أخذاً في ضوء القمر الجميل ، وكان النسيم عليلاً يهيج الذكريات ، ويبعث الشوق في القلوب .

جلست على العشب ، ونظرت إلى البحيرة وقد استولى على سحرها ، فربى طيف عابر ، وأحسست أن الحب قد تملكني وأصبحت في حاجة إليه . فتذكرت حياتي الأولى وما بها من سامة وبأس فحزنت وتساءلت شئى هل يسهم لي الزمان فأجد نفسي على شاطئ البحيرة في ضوء القمر الساطع بين أحضان حبيب بلهبنى بقليلاته فأنتمش بتلك القبلات الحارة التي ينعم بها العشاق ! ! وعندها شمعت بحبات لؤلؤية تتساقط على وجنتي لم أدر سببها وسمعت من يقول : « لم هذا البكاء يا سيدتي ؟ خفي عنك ما تجدين ... فلام الحزن وعلام البكاء » وكنت مضطربة فقلت إنى مريضة فسار إلى جانبي وكان طيب القلب وبدأ يحدني عما رأيناه في رحلتنا من المناظر الجميلة وترجم كل ما أحسست به إلى كلمات جذابة ، وشمعت بأنه فهم إحساساتي وشعوري كل الفهم ، ونجاة أسمى بعض الأبيات الشعرية لأنورد دى موسيه فشمعت كأننى في عالم غير عالمنا ، وخيل إلى أن الجبال